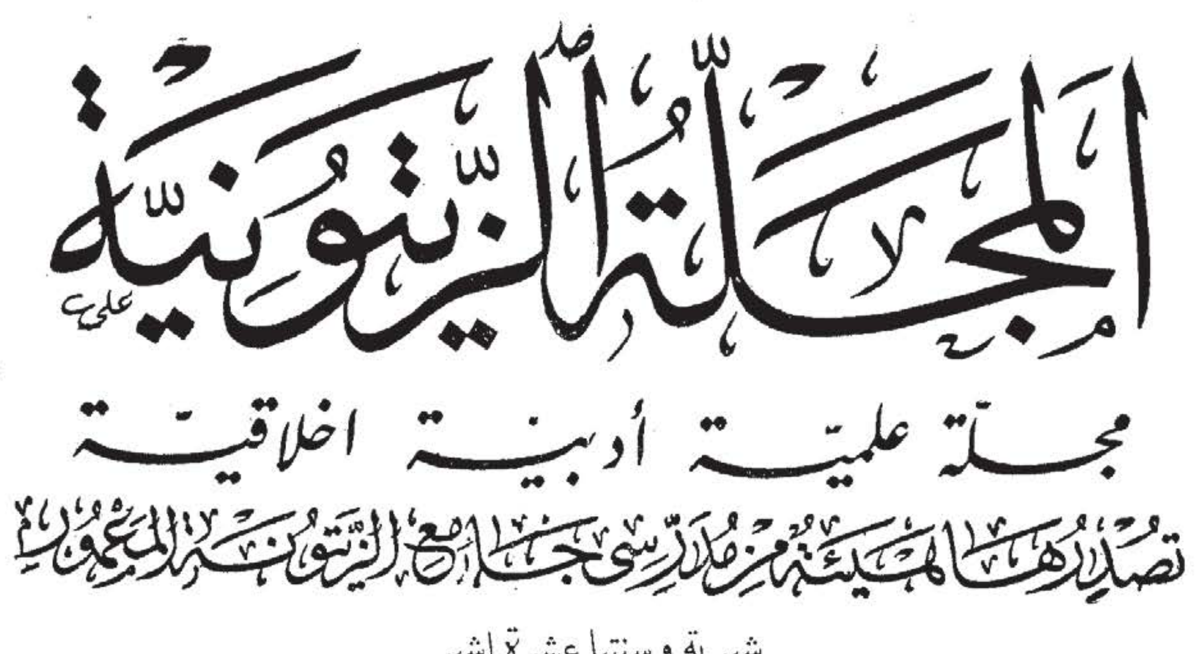


٥ فرنكات

المطبعة التونسية

المجلد الثالث — الجزء الثالث

فهرس العدد



شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثالث	تونس - في محرم الحرام ١٣٥٨ - مارس ١٩٣٩	المجلد الثالث

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

المطبعة التونسية - نهج سوق البلاط عدد ٥٧ - تونس

ذكرى الهجرة

لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

بقلم رئيس التحرير

ان من أهم الحوادث التاريخية التي كان لها أثر عظيم في شان الاسلام وانتشاره في مشارق الارض ومغاربها ؛ وتغلغله في الاقطار قاصيها ودانيها، واشراقه اشراق الشمس التي لا يصدها شيء عن الوصول الى كل مكان، حادث الهجرة ؛ هجرة الرسول الاعظم خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

فقد كان أول ظهور الاسلام في مكة أين مقر البيت الحرام ، ذلك البيت الذي شيده ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأسس على التقوى من أول يوم ، فكان مثابة للناس وأمنا ؛ تفد اليه الامم من جميع اقطار الارض ، وتتقرب فيه الى الله على حسب اديانها ومباديها ، فكان مقر أديان متناقضة ، وعوائد متباينة ، كما كان مقر عصبيات مختلفة ، وقبائل متنوعة ، تعتز كل واحدة بدينها ، وتتباهى بقوتها وكثرة عددها

فاختار الله تعلى ان يكون مظهر الاسلام في ذلك الموضع الذي تطاحنت فيه الاديان ، وتنوعت فيه المبادي ، وتشتت فيه الاغراض ؛ اذ ظهور الاسلام في مجتمع على هاته الحالة دليل واضح على ما للاسلام من قوة وما له من سلطان بحيث لا يبالي بتلك المظاهر المتنوعة لانه بقوته سيقضي عليها

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فمكث زمنا يسيرا يهيء الاسباب لاظهار دعوته والاصداع بكلمة الله ، ثم اذن له ، فصدع بالامر ، وجاهر بالدعوة ، فتالب الناس عليه ، واعدوا العدة لمقاومته ، لما علموه من ان هذا الدين الجديد الذي جاء به اليهم سيكون قضاء مبرما على ما الفوه من العقائد الضالة ، وهكذا الشان في كل من يضل عن سبيل الله ، فتأخذه العزة بالاثم ، ولا تجد الهداية الى قلبه من سبيل

ولم يقتصروا في مقاومته على الطرق المعقولة : من المفاهمة والاحتجاج والمحاورة ، بل قاوموه صلى الله عليه وسلم بالفعل ، فترصدوا له في غدوه ورواحه ، واغروا به سفهاءهم والفلتاء منهم ، وءاذوه بانواع من الاذايات لا يتحملها الا امثاله صلى الله عليه وسلم من اولي العزم ، فكان يقاوم ذلك بالحلم والصبر والجلد ، ويستمر على بث الدعوة التي كلفه الله بها ؛ مستخفا باعمالهم ، واثقا من نفسه ، عالما بان النصر سيكون بجانبه ، وهكذا شان المرسلين عليهم الصلاة والسلام ؛ في التجلد وقوة العزيمة ، وتحمل الشدائد واقتحام الاخطار .. (وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا

لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)

ثم لما مضت أعوام على هاته الحالة ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن بقاءه بمكة والمشركون على ما هم عليه من الكفر والعناد والمقاومة لايمكن معه الوصول الى الغاية التي يسعى لتحقيقها ، فاستاذن من ربه سبحانه وتعالى في أمر الهجرة ، فهاجر الى المدينة ، ومعه اتباعه الذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ، فوجد فيها انصارا اعزوه واعتزوا به . وأكرموا من هاجر معه فطاب له فيها المقام وتهيأت الاسباب لنشر كلمة الاسلام ، وقرت عينه عليه الصلاة والسلام

وعند ذلك دخل الاسلام في طور جديد ، وتهيأت أسباب الدعوة ، وتفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم الى العمل العظيم الذي كلف به ، فتوالت الغزوات ، واستمرت الفتوحات ، ودكت معالم الشرك فارتجت ارتجاجا ، ودخل الناس في دين الله افواجا ، ونفذت كلمة الله الى سائر الاسماع ، وانتشرت في جميع البقاع ، فذلك هو حادث الهجرة وتلك هي آثارها

ثم استمر الاسلام على النمو والانتشار ، حتى صارت دولة الاسلام أقوى الدول ، وحتى صارت مدنية الاسلام ارقى المدنيات ، وحتى صارت الامة الاسلامية هي مضرب الامثال في عدلها وقوة سلطانها ؛ واستمر الحال على ذلك حينا من الدهر ؛ ثم دالت الدولة ؛ وضعفت الصولة ؛ وطرأ على جسم الامة الاسلامية الاعتلال ؛ حتى كادت تصل الى الاضمحلال ، حيث تغلبت الاغراض ، وتشتت الجمع ، وتفرقت الكلمة ، وسادت الفوضى ، وصارت الامة الاسلامية اضعف الامم ، تساق بالعصى ، وتغزى وهي في عقر دارها ، وتعامل بانواع الخسف والهوان ، وتشج فلا يرثى لها احد ، وتقهر ولا تستفيد من كثرة العدد

فهل يدوم الحال على ذلك ؟ وهل لمعالجة ما عليه المسلمون من سبيل ؟

اما دوام الحال فمن المحال ، واما العلاج فهو سهل بسيط ، ذلك ان الرجل العاقل هو الذي يقارن بين ماضيه وحاضره ، ويبحث عن اسباب عزه عند ما كان عزيزا ، ويبحث عن اسباب ذله عند ما صار ذليلا ، فيدرأ عن نفسه أسباب الخلل ، ويتدرع بالطرق الناجحة من وجوه العمل

وان في حادث الهجرة لعبرة لمن يعتبر ، ولا ينبغي أن يمر به الانسان كحادث يكفيه منه ان يعلمه ؛ بل يجب ان يقلبه ظاهرا وباطنا ، ويستخلص منه ما فيه من اسرار ، ثم يسعى للعمل على ذلك حتى يصل الى الغاية التي يقصدها ، والغرض الذي ينشده

وفي الهجرة عبر كثيرة ؛ ومغاز سامية ؛ لا تكفي مقالة لتعدادها . وانما نقتصر منها على ثلاثة أمور . وهي : ١ ـ الاعتماد على الله ، ٢ ـ والتضحية بالنفس ، ٣ ـ والعزيمة

الاعتماد على الله

فاما الاعتماد على الله . فهو سر النجاح في كل شيء لان الاعتماد على الله يكسب الانسان قوة ويا لها من قوة . فاذا تشبع الانسان به اقدم على العمل بنفس مطمئنة . وايمان ثابت . لا يخف الامن الله . ولا يرهب الا من سطوته . واثقا من ان البشر لو اجمع انسهم وجنهم على ان ينفعوه بشيء لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه . ولو اجمع انسهم وجنهم على ان يضروه بشيء لم يقدره الله له لم يتمكنوا منه . فعند ذلك يزول عنه الجبن والخوف والاستكانة ويصير عزيزا قويا مزدريا بالحوادث والاخطار

فهو اذا توجه توجه الى الله . واذا اعتمد اعتمد على الله . لا يفت شيء في ساعده . ولا يصده صاد عن البلوغ الى مقاصده

التضحية بالنفس

واما التضحية بالنفس . فهي الامر الذي يجب على كل انسان يريد النجاح ان يروض نفسه عليه . لانها كلمة جامعة تشمل ارتكاب الاخطار . ومفارقة الديار . وتحمل الاكدار . وايثار الغير بالمنفعة . وتجنب المطامع السافلة . والتحلي بجميع الكمالات والفضائل .

واذا بلغك عن امة انها تريد النهوض فابحث عن اصحاب الزعامة فيها فان كانوا ممن يضحون بانفسهم في سبيل المصلحة العامة ، فترقب لها النجاح ، وان كانوا من اصحاب المطامع ومن الذين لا يرضون بان يؤذوا ادنى اذاية . فاعلم ان طمعها في النهوض كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

العزيمة

واما العزيمة فهي الشرط الذي لا بد منه في نجاح كل عمل . لان الانسان اذا اقدم على عمل وكان له عزم صادق في نجاحه يصل بحول الله الى غايته لا محالة . اذ صدق العزيمة هو الذي يذلل به الانسان كل امر صعب يعترضه في طريقه . فلا تؤثر المصاعب في عزيمته . ولا تصده الاخطار عن البلوغ الى غايته .

والعزيمة قوة يبعثها الله في الانسان فيضطلع باعباء الامور بنفس مطمئنة وعقيدة راسخة ، ولعظم أمرها مدح الله رسله عليهم الصلاة والسلام بانهم اصحاب العزم . اذ بدون عزيمة لا تنجح الاعمال . ولا يصل الناس الى ما يقصدونه من الآمال

فاذا أراد المسلمون ان يعتبروا بالهجرة . وان يسترجعوا مجدا اضاعوه . وعزة فقدوها . فليكن اعتمادهم على الله . وليعودوا انفسهم على التضحية . ولتكن لهم عزيمة صادقة ، فعند ذلك يحصل لهم التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم . ويحق لهم ان يطمعوا في النجاح . ويترقبوا من ليلهم الذي طال امده ان ينجلي بالاصباح .

محمد المختار بن محمود

الاحتفال بعيد الهجرة ❀

باسمك اللهم نبتدىء مقالي ، ومنك نستمد الهداية والتوفيق ، وعليك الاعتماد في الارشاد الى اقوم طريق ، صراطك المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

يا ايها السادة الاكارم

انكم حضرتم في هـذا الاحتفال البهيج ، البهيج في معناه ومغزاه ، البهيج في سعة مرماه ، ولبيتم صوت ضمائركم الطاهرة ، ونفوسكم المفعمة اخلاصا ومحبة لصاحب الرسالة الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لتقيموا هذه الذكرى الخالدة ما دامت الارض والسماوات ذكرى هجرة الرسول الامين

وليس الاحتفال بالاعياد والذكريات ، واستيحاء العبر المشرفة ، قضية مستحدثة لا يعلمها المسلمون وانما سرت اليهم كما يزعم ذلك من جهل الاسلام فخفت عليه محاسنه التي اصبحت عنده في زوايا الاهمال ولو علم الناس ما شرعه الرسول من الاحتفال بذكرى نزول القرءان ، وبعبارة بذكرى نزول الدين ، من كل عام في شهر رمضان ، وكيف سنه الله لرسوله ، فبعث له الروح الامين ، يدارسه القرءان في خصوص ذلك الشهر العظيم من كل عام ، لادركوا أن ذلك من أوضاع الاسلام ، من قبل أن تخلق هذه المدنية باكثر من الف عام

أضف الى ذلك جواب عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حين أورد عليه الايراد المشهور في آية (اليوم اكملت لكم دينكم) وقال له لو انهذه الآية نزلت علينا يعني اليهود لاتخذنا ذلك اليوم يوم عيد يعني نحتفل فيه بذكرى يوم كمال الدين ، فاجابه ابن الخطاب بجواب من علم الشريعة ظاهرها وخفيها ، وعلم أسرارها ومميزاتها ، بان ذلك اليوم الذي نزلت فيه تلك الآية الشريفة ، هو يوم عيد وذكرى بوضع آلهي ، وكفاه ذلك تشريفا وتعظيما ، وضروري ان يتخذه المسلمون كما شرع لهم

غاية ما هنالك ان المسلمين لما ضعفوا واقتبس من سواهم محاسنهم ، صار يظن ان ذلك لغيرهم وهم فيه تبع ، ثم بعد ذلك يترددون هل نسير على خطى الغير ام نسير على نحو ما تركنا عليه آباؤنا ، ان هذا لشيء عجاب

اما ذكرى الهجرة فيكفينا تنويها بهذا الحادث الخطير وتعظيما ان اتخذها المسلمون الاولون ، من المهاجرين والانصار بارادة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مبدأ التاريخ الاسلامي وفي ذلك من الاشارة الى انها اخطر الحوادث واشرفها في الاسلام ، ضف الى ذلك ما فيها من تنبيه المسلمين على ممر العصور وتذكيرهم في كل عام بعيد عز الاسلام .

❀ الخطاب الذي القاه مدير المجلة في الاحتفال العظيم الذي اقامته جمعية الشبان المسلمين بقاعة المحاضرات بقصر الجمعيات مساء يوم الخميس ثالث المحرم .

الهجرة يـا سادة ، عبرة بالغة واثر من آثـار حياة الرسول المفعمة بالحوادث الجليلة وآية من الآيات البينات على مبلغ ايمان النبيء الامين ، وايمان اصحابه الغر الميامين

والايمان وحده هو الذي يبلغ الى أقصى حد الكمال البشري

فمتى آمن الانسان وأن السعادة في الخلود الى الشهوة أو الى ما تنعم به النفس من أنواع الترف سعى لها سعيها الذي يوحيه له ايمانه ، وكلما حاول غير ذلك استعصى عليه

وان هو آمن وان السعادة في حياة التقشف والزهد والاعراض عن العالم بما فيه من نعيم أو جحيم اوحى اليه ايمانه العزلة وأراه العالم على صورة لا يتسنى له أن يحي معها حياة التلذذ بنعيم الحياة ، وان أجهد نفسه كل الاجهاد ،

ومتى آمن وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، أوحى اليه ايمانه حياة العزة التي ارتضاها الله لرسوله وللمؤمنين ،

وبهذا الايمان تحلى الرسول ومن هذا الايمان غرف اصحاب الرسول ،

وهل بعد هـذا الايمـان يلتفت الى وطن او ابن او عشيرة او مـال وبالاحرى الى شيء من متاع الحياة اذا كان ملطخا بسمة الهوان ؟

وهل بعد هذا الايمان ينظر الى رفاهية عيش اذا كان ملطخا بسمة الهوان ؟

وهل بعد هذا الايمان ينظر الى زوج او صاحب اذا كان ملطخا بسمة الهوان ؟

كلا ان وحي الايمان يا سادة شيء عظيم ،

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعالج المسلمين ليكون منهم نفوسا مؤمنة الايمان الكامل ، الايمان الصادق ، الايمان بالحق ، الايمان بالعزة ، الايمان بالقوة حتى أصبح المسلمون مثال الحق والعزة والقوة ،

وعلى هذا الصراط السوي نشؤا في الاسلام فلا جرم اذا رأيناهم يسترخصون كل عظيم في اعين غيرهم ويهجرون الاوطان وعز الاوطان ومنعة الأوطان ونعيم الاوطان ومـا اشتملت عليه الاوطان كما هجروا من قبل ما كان عليه الاولون من دين الاباء والاجداد والاعمام

كل ذلك بالايمان الذي أوحى اليهم الحق كما هو حق والعزة كما هي عزة والقوة كما هي قوة

أجل ان الهجرة يـا سادة تذكرنا بعظمة الثبات على المبدا ، تذكرنا بجـلال الحق وأنـه يعلو على القوة متى وجد نفوسا تؤمن بالحق ولا يصدها أي خطر لاظهـار الحق ، تذكرنا تلك المعركة الجبارة بين الهدى والضلال

تذكرنا ببطولة المرأة في الاسلام وبلائها في اعزاز هذا الدين البلاء الحسن (١)

تذكرنا ببطولة الصابرين وصدق عزيمة الرسول (اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنـين

---

(١) اشارة الى ما قامت به السيدة اسماء ذات النطاقين ابنة الصاحب ابي بكر الصديق رضي الله عنهما من الاعمال الجليلة عند الهجرة وما قام به نساء الصحابة في اعزاز الدين

اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

حق يا سادة ان يقال ان الهجرة مبدأ عهد للانسانية جديد ، لمع نبراسه من غار ثور ، وشاع نوره من مسجد المدينة ، وظهر صارمه في بطاح بدر ، ورددت أنشودته الحماسية أصوات الفاتحين يوم فتح مكة وفي وادي اليرموك ويوم القادسية وحين اعتلوا على صور الشام .

فمن هناك انبعث الخير يغمر اقطار المعمورة ، ويحمل للعالم شريعة كلها أمن وعدل وسلام وحرية ، كلها هدى ونور وشفاء لما في الصدور

فلا جرم ان يكون عيد الهجرة من أسمى الاعياد قدرا ، وأنفعها ذكرى ، تفيض على المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الغبطة والمرح ، وتامرهم بالسير في ذلك الطريق الذي عبد لهم يوم الهجرة الافخم ، وعلى ضوء شرعهم الوضاح ، الذي ما كسفت شمس هدايته ، بل ضربت على الابصار غشاوة لو تنبه لذلك الغافلون

سادتي ينازعنا في هذه الساعة عاملان عظيمان ، عامل السرور والابتهاج بهذا العيد الاوحد ، وعامل الحسرة والاسى على ما فرطنا في جانب دين الله ، على ما فرطنا من عز الاسلام، على ما فرطنا من الاستهانة بالمسؤلية الملقات على كل احد من افراد الامة المحمدية ،

سادتي ان امر المسؤلية عظيم ، وما دام المسلمون يلقي كل فرد منهم المسؤلية على عاتق غيره ، كانه لا تبعة عليه كيف يكون العلاج ،

سادتي ان صرح الاسلام اقيم على عواتق الامة بأسرها ، فكيف ترومون اليوم أن ينهض به افراد من الامة ، بل كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، ولا يصلح آخر هذا الامة الا بما صلح به اولها

محمد الشاذلي ابن القاضي

المحاضرات الاسلامية

كانت وزارة الاوقاف المصرية اوكلت الى العالم الواعظ الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجديلي مدير شؤون المساجد لوزارة الاوقاف ان يقوم بالقاء محاضرات دينية امام مذياع الحكومة المصرية فالقى فضيلته سلسلة محاضرات دينية اجتماعية تاريخية ادى بها اجل عمل نحو الامة الاسلامية . ومن احسن ممن دعى الى الله وعمل صالحا وانار السبيل . وتعميما للنفع قد جمع حضرته مجموع المحاضرات التي القاها واودعها في سفر واسماه «المحاضرات الاسلامية» وقد قامت جمعية الوعظ والدعوة الاسلامية ومجلة التقوى بمصر بطبعه ونشره

وقد اهدى الينا نسخة منه وبعد تصفحه الفيناه تضمن عشرين محاضرة كلها عيون حدثنا فيه عن اثر العقيدة في اصلاح المجتمع وبماذا نعرف الرجل المؤمن وعن نشوء الدعوة الاسلامية وكيف نهض الاسلام بالمجتمع كما حدثنا فيه عن شيء عظيم من حياة الرسول صلى الله عليه واصحابه الاكرمين الى غير ذلك من الابحاث الرائقة والحكم الجامعة

ونحن نثني على همة الشيخ العلية مؤملين منه مزيد الغور في هذا المضمار ولكتابه القيم ان ينتفع به المسلمون ويقدروه حق قدره

المقصد العظيم من الهجرة

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

ان في كل شأن من شئون رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصها وعامها دلائل على أنه بمحل العناية من ربه تعالى تحقق معنى قوله تعالى « فانك بأعيننا » أي بمحل العناية منا (اذ حقيقة العين يستحيل إثباتها لله تعالى فتعين بحكم استعمال اللغة أن تكون العين في الآية مرادا منها لازم لازم حقيقتها وهو الاعتناء اللازم لمعنى المشايعة والمشايعة من لوازم النظر المراد من العين كما قال النابغة يخاطب النعمان بن المنذر :

رأيتك ترعاني بعين بصيرة وتبعث حراسا علي وناظرا)

ومن أعظم الشئون التي عرضت للرسول عليه السلام في رسالته شأن خروجه من وطنه في ذات الله تعالى وكان في ذلك الشأن من المقاصد الآلهية العظيمة ما لا يحيط به غير علام الغيوب فلا جرم أن نعد منها ما بلغ اليه العلم والهمه الفهم في هذا الوقت القصير . وعسى أن يكون في قليله تنبيه كثير . يفتح فهم الناقد البصير

الهجرة شنشنة من أحوال الرسل فقد هاجر ابراهيم واوط وهود وصالح وموسى ويونس ولكل وجهة وكل على هيئة وتلك الشنشنة هي التي أنبأت ورقة بن نوفل بأن محمدا عليه الصلاة والسلام سيسلك به ربه مسلك رسله « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا » كان ورقة بن نوفل القرشي المتنصر في الجاهلية قد توسم من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج أو يخرج من وطنه . ففي صحيح البخاري (ان رسول الله لما ذهب اليه باشارة خديجة رضي الله عنها وقص عليه رؤية الملك ونزول الوحي عليه في غار حراء قال له ورقة « هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك . قال رسول الله اومخرجي هم . قال ورقة : نعم لم يأت احد بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا)

كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة نبذا منه لاهل الشرك وسخطا عليهم وتنزيها للدين عن البقاء بين أظهرهم واعلانا لسائر الناس بأن أمر هذا الدين ليس بالامر الهين فان الدعوة بالفعل مع القول أشد نفوذا الى النفوس من مجرد القول بحيث صارت الدعوة الاسلامية حادثا مشاهدا ومتحدثا به بعد أن كانت مسموعة لا غير ولذلك سمي هذا الخروج هجرة مشتقة من الهجر وهو قطع المعاشرة ولقد كانت باذن الله له بذلك حين تهيأت الاسباب التي أرادها الله تعالى كما انبأ به

حديث الهجرة في الصحيح ان رسول الله قال لابي بكر ان الله اذن لي في الهجرة ولم يكن ذلك الخروج فرارا وخشية من المشركين لان الله الذي عصمه منهم ثلاث عشرة سنة وهم يؤذونه بالقول ولا يقدمون على الحاق الضرر به قادر على اكمال عصمته منهم وخاصة بعد أن كثر اتباعه واعتزوا باقويائهم مثل عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب . وقد علم رسول الله أنه اذا خرج من بين قومه يعدون خروجه غلبة معنوية عليهم فيحاولون منعه فلذلك رأى أن كتمان أمره أعون على مراد الله من خروجه ورأى الاختفاء بعد الخروج ثلاث ليال بغار ثور أقطع لطماعية المشركين في اللحاق به وأعجز لهم في طلبه ولذلك كان يسير الليل ويستريح النهار وتلك ايضا عادة العرب في سيرها في وقت الحر وقد كانت الهجرة في زمن الحر

الهجرة مفارقة الوطن على نية عدم الرجوع اليه وأسبابها تارة تكون للطمع في نفع يحصل للمهاجر في الموطن الذي ينتقل اليه وتارة من كراهية الاقامة في الوطن لعداء بين المهاجر وقومه أو لاذى لحقه منهم وتارة لنشر دعوة أو اظهار فضيلة أو استنصار على عدو او غير ذلك فهي أخص من السفر ومن التغرب لان في السفر والتغرب أمل العود الى الوطن .

وايا ما كانت غايتها ومنفعتها فانها شديدة المضاضة على النفس لان في مفارقة الوطن مفارقة لاعلق البقاع بالقلب مما شب فيه المرء وألفه ومفارقة قرابته وجيرانه وأحبته وقد قال ابو الطيب وأجاد .

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لهى المنايا الى ارواحنا سبلا (١)

وسماها القرآن فتنة في قوله تعلى (والفتنة اشد من القتل) قال المفسرون أراد اخراج المؤمنين من بلادهم مكة ثم ان أسمى غاية يفارق المرء لاجلها وطنه وأقوى سبب يحدث عنه الشقاق بين المرء وذويه هو الذب عن الاعتقاد اذا بلغ عناد المخالفين فيه الى حد تحجير اظهاره والمضايقة فيه ومحاولة الارغام على تركه والتظاهر بما يخالفه وان المرء ليضجر لو أغمضت عيناه أو سدت أذناه وما هما الا بعض مظاهر ادراكه فكيف به اذا سد عليه قلبه وعقله ورأيه وأن أسمى العقائد وأقدس الآراء عقيدة الدين لتعلقها باشرف الموجودات ولتجردها عن الغايات المادية والمنافع العاجلة التي تلائم هناء المرء في عيشه ومسالمة دهماء قومه اياه فالاعتقاد الديني اعتقاد محبوب لاجل كونه حقا بحتا ولاجل كونه يرضي خالق الخلق . وقد كانت الهجرة في الله للتمكن من تبليغ شرائعه . وكان الاذى في الله لاجل ذلك سنة من سنن المرسلين فما من رسول الا وقد أوذي في الله وكذلك كثير من اصحاب الرسل أوذوا وهاجروا معهم وبدونهم . ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واتبعه من اتبعه من قريش

(١) لهى اسم جمع لهاة بفتح اللام وهي الحلق والمنايا جمع منية وهي الموت وقد جمعها باعتبار متعلقاتها وهي نفوس الاحياء واثبت للمنايا حلوقا لانه قدر تشبيهها بسباع تبتلع الارواح على طريقة الاستعارة المكنية .

وتكاثروا وحاولوا اظهار دينهم بين مشركي أهل مكة لم يرض المشركون بذلك وكشروا للمسلمين عن أنياب العدوان وأخذوا يؤذون المسلمين بصنوف من الاذى كانت تزداد يوما فيوما بمقدار رسوخ المسلمين في الاستمساك بدينهم وكان المسلمون صابرين على أذى المشركين حتى بلغ الصبر غايته أذن رسول الله في سنة خمس لطائفة من المؤمنين المستضعفين والمقصودين بخاصة الاذى بالخروج من مكة ولم يخرج رسول الله حينئذ لانه في منعة بعمه ابي طالب فقال لاصحابه لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه أفخرج من المسلمين يومئذ ثلاثة وثمانون رجلا وتسع عشرة امراة فتلك الهجرة الاولى. ثم لما اسلم الاوس والخزرج أذن الله لرسوله وللمؤمنين كلهم بالهجرة من مكة الى المدينة دار الاسلام. وقد قيل إن ذلك كان باقتراح من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورجع مهاجرة الحبشة الى المدينة فكان حكم الهجرة من مكة واجبا على كل مسلم قال تعالى (والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) ودام ذلك الحكم الى فتح مكة .

كم من حكمة لله تعلى فيما اشتمل عليه حادث الهجرة من الاحوال وكم من نعمة أسداها لعبده ورسوله في تلك الهجرة دل بها على أنه بمحل عنايته وأنه متمم نوره ولو كره الكافرون قال تعلى وكان فضل الله عليك عظيما

الحكمة الاولى صرفه ألباب قريش وحذقهم عن ان يفكروا في قطع دابر أمر الاسلام قبل أن يكثر أتباعه وينتدب له أنصاره وتشتيته رأيهم في صده عن الخروج حتى مكنه الله منه وفي ذلك اليأس تهيئة لهم نحو الدخول في الاسلام .

الحكمة الثانية أن هيأ له أن تكون هجرته الى يثرب ولم يكن ذلك في باله أول وهلة ففي الصحيح عن أبي موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (رأيت في المنام أني أهاجر الى أرض بها نخل فذهب وهلي الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب) فكان من تيسير الله أن ساق اليه النفر الستة الاولين من الاوس الذين أسلموا من أهل يثرب فان موقع المدينة كان وسطا من أرض العرب فكان بلوغ دعوة الاسلام الى بلاد العرب بانتشار شعاعي وهذا أيسر عموما مما لو كانت دار الهجرة اليمامة أو هجر في الطرف الشرقي الشمالي من بلاد العرب

الحكمة الثالثة أن أهل يثرب كانوا أقرب قبائل العرب لقبول شريعة الاسلام فانهم وان كانوا قبل الاسلام مشركين يعبدون مناة وغيرها الا انهم لشدة مخالطتهم لليهود وهم أهل كتاب كانت ءاذانهم قد اعتادت معالي التوحيد والشرائع فكانت نفوسهم مرتاضة الى ذلك

الحكمة الرابعة أن الله جعل للمسلمين من أهمية موقع المدينة من بلاد العرب سلطانا على اعدائهم

من قريش أهل مكة فان قريشا كانوا تجارا وكانت لهم رحلة في الشتاء الى اليمن للتجارة واخرى في الصيف الى الشام سن لهم ذلك هاشم بن عبد مناف جد النبيء صلى الله عليه وسلم وذلك هو المسمى بالايلاف (١) وكان مرورهم الى الشام على طريق المدينة من بطن عالج فلما صارت المدينة دار سلام وثبتت العداوة بين أهلها وبين قريش صارت قريش ترهب المرور على المدينة فانقطعت تجارتهم الى الشام وهي أهم تجارتهم وفي ذلك المعنى قال حسان بن ثابت مهددا لقريش

دعوا فلجات الشام قد حال دونها — جلاد كأفواه المخاض الاوارك (٢)
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم — وانصاره حقا وأيدي الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عالج — فقولا لها ليس الطريق هنالك

الحكمة الخامسة انتقال الاسلام من طور الى طور أكمل منه هو الذي كان مقدمة كماله المعلن عليه يوم حجة الوداع بقوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي »

مضت مدة إقامة رسول الله بمكة والاسلام حيئنذ في طور كان فيه دينا مقتصرا على إصلاح العقيدة وتهذيب نفوس أتباعه وتطهير أخلاقهم في خويصتهم ومجتمعهم ودعوة المشركين الى الايمان بالله ورسله وما جاءوا به وتشهير فضائح أهل الشرك وضلالهم وسخافة رأيهم وذلك طور ابتدأ الله به الاسلام لينشأ منشأ سائر الكائنات من طفولة الى شباب الى كهولة (كذلك لنثبت به فؤادك) ولتهيئة قلوب المسلمين الى تلقي الشرائع وانتظام الجماعة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة تطور الاسلام الى طوره الاشد فصار دينا وجامعة وشريعة وحكومة

الحكمة السادسة استقلال الاسلام وأمنه واعلان العبادة فشرع الاذان وأقيمت الجمعة ونحو ذلك

الحكمة السابعة تنظيم الجماعة في الاسلام من أول الهجرة بابتناء المساجد واقامة الائمة والقضاء ومشروعية المواساة بين المسلمين بالزكاة والصدقات وتنظيم قوانين العائلة من شرع تصحيح عقود الزوج وحقوق الزوجين والقرابة والمصاهرة الخ. وبالاستخلاف في تدبير الامور واقامة الاحكام في مغيب الرسول او في البعد عنه. وابتداء التشريع العام في أحكام المعاملات والجنايات ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : انما نزل أول ما نزل من القرءان سورة من المفصل بين ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب إلى الاسلام نزل الحلال والحرام. الحكمة الثامنة تنظيم الدفاع عن الدين والامة بالتهيء لمقاومة المشركين من أهل مكة وأحلافهم اذا نووا ذلك وهم بوشك أن ينووه اذ هم من قبل قد ناووه

الحكمة التاسعة ايجاد مال للمسلمين لاقامة مصالحهم وعدة لنوائبهم مجتمعا من الزكاة والاوقاف ثم من المغانم والانفال. الحكمة العاشرة مخاطبة ملوك الارض ورؤساء الامم بالدعوة الى الدخول في دين الاسلام والاستظلال بالراية الاسلامية.

محمد الطاهر ابن عاشور

---

(١) الايلاف مصدر الف بمعنى الف الشيء وقد أشار اليه قوله تعالى لايلاف قريش وكان ذلك من خصائص قريش قال مساور بن هند العبسي يهجو بني أسد ويكذبهم في دعواهم انهم من نسل أسد بن عبد العزى من قريش

زعمتم أن اخوتكم قريش — لهم إلف وليس لكم إلاف
أولئك اومنوا جوعا وخوفا — وقد جاعت بنوا اسد وخافوا

(٢) الاوراك التي تأكل الاراك فيجرح لها افواهها فيسيل منها الدم

هجرة الصحابة الى الحبشة

بقلم العالم الشيخ ابراهيم النيفر المدرس
من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

(آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله الا إن نصر الله قريب)

سنة الله في الذين خلوا من الانبياء والمرسلين ، ومن تبعهم من المؤمنين ، يدعو الرسل قومهم الى الايمان ، وترك ما هم عليه من عبادة الاوثان ، واطراح ما الفوه من منكرات وفسوق وعصيان ، يأمرونهم بافراد الله بالعبادة ، ويرغبونهم في مكارم الاخلاق وفضائل الشيم . فيعظم ذلك على قومهم ، ويعز عليهم ترك ما ألفوه ووجدوا عليه ءاباءهم ، ويعجزون عن مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بمثله فيعمدون الى سلاح العاجز يشتمون ويسبون ، ويضربون ويوذون . ويتطاولون على من قدروا عليه من المؤمنين يعذبونهم تعذيبا في سبيل الله ، فيصبر المؤمنون على ذلك ويرون العذاب عذبا ، ويستطيبون مرارة البلاء ، وهكذا الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب وامتزج باللحم والدم وصار عقيدة راسخة في النفس ، لا تزعزعها المحن ولا تؤثر فيها البلايا ، حتى يظهر الله دينه وينصر رسله ويعز المؤمنين . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

لم يكن ليخرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه السنة ولا أصحابه الاكرمون . أو ذي صلى الله عليه وسلم فصبر صبر أولي العزم من الرسل ، ونكل قريش بمن ءامن من الصحابة تنكيلا بالضرب والتعذيب والقتل فما زاد ذلك النبيء صلى الله عليه وسلم الا ثباتا ، وما قابل الصحابة هذا الابتلاء الا بجلادة ، واضطروا الى الخروج من ديارهم ، والبعد عن أهلهم وترك أموالهم ، حتى نصرهم الله نصرا مبينا ، وردهم الى دورهم ودخلوا دخول الفاتحين

نزل جبريل الامين بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه أن الله اختاره واصطفاه ليكون رسولا للناس عامة ، يدعوهم الى خير دين عرفه العالم ، وأن يبدأ بدعوة الناس سرا ، فقام بما أمر به وصار يعرض نفسه على الناس فرادى وبقي كذلك ثلاث سنين ، دخل الناس فيها في الاسلام أرسالا رجالا ونساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به ، ثم أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة والصدع بما أمر به حيث نزل عليه قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » وقوله

تعالى « وأنذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين ، فـإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون »

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون في الشعاب يستخفون بصلاتهم من قومهم حتى اطلع عليهم قريش يوما وفي المسلمين سعد بن أبي وقاص وهم يصلون فعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا من المشركين بلحي(١) بعير فشجه. فكان أول دم اريق في الاسلام. لكن قريشا لم يبعدوا عن النبيء صلى الله عليه وسلم كثيرا ولم يردوا عليه لانه وإنْ دعا الى التوحيد فلم يذكر ءالهتهم ولم يعبها ، فلما فعل ذلك ونزل عليه من القرآن ما فيه ذم لها وتسفيه لاحلامهم ، عظم ذلك عليهم وأجمعوا على خلافه وعداوته ، فحدب (٢) عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى صلى الله عليه وسلم على أمر ربه لا يرده عنه شيء

فلما رأى ذلك قريش مشى جماعة منهم الى ابي طالب وقالوا له يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب ءالهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا وإما ان تخلي بيننا وبينه فردهم أبو طالب ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه، ثم شري(٣) الامر بينه وبينهم وأكثر قريش من ذكره صلى الله عليه وسلم فذهبوا الى أبي طالب ثانيا فقالوا له : يا أبا طالب إنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم ءابائنا وتسفيه أحلامنا وعيب ءالهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين. فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم لكن لم يطب نفسا بخذلان النبي صلى الله عليه وسلم فخاطبه في ذلك ، فقال له النبي : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، فقال له أبو طالب : إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبدا. فعرضوا على أبي طالب بعدئذ أن يأخذ عمارة بن الوليد ويسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فغضب لذلك غضبا عظيما وامتنع فعاداه لذلك قريش وأشتد الامر بينه وبينهم. ووثب قريش على الذين أسلموا يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم. وكان أبو طالب يمنع النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بني هاشم وبني عبد المطلب الى معونته على ذلك فاجابوه الا ابا لهب. وفي ذلك يقول ابو طالب في قصيدة طويلة منها :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فاصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينا حقه غير باطل

ومع ذلك فانه صلى الله عليه وسلم لم يسلم من أذى قريش فقد كانوا يغرون به سفهاءهم.

(١) اللحي : العظم الذي على الخد. (٢) حدب عليه : تعطف. (٣) شري الامر : كثر وزاد

حدث ابن إسحاق بسنده الى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اجتمع يوما قريش في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل . سفه أحلامنا وشتم ءاباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب ءالهتنا . فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم النبي صلى الله عليهم وسلم واستلم الركن وطاف بالبيت فغمزوه (١) ببعض القول وتكرر ذلك ثلاث مرات . جاء من الغد فوثبوا اليه وثبة رجل واحد واحاطوا به يقولون له أنت الذي تقول كذا وكذا . فقال لهم : نعم . فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه فقام أبو بكر دونه يقول لهم : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه

وقال ابن هشام : أشد مالقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه فرجع عليه السلام الى منزله فتدثر من شدة ما أصابه فانزل الله : يا أيها المدثر قم فأنذر . (وقيل ان سبب نزول الآية غير هذا)

ولما أسلم حمزة عرف قريش أنه عليه السلام عز وامتنع فكفوا عن بعض ما ينالون منه وقد أراد أبو جهل أن يقتله يوما وهو ساجد بحجر كبير فرأى ما رأى . رأى فحلا من الابل كاد أن يلتهمه فولى هاربا .

وكان أول من جهر بقراءة القرءان بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود . فقد روي أنه وقف عند المقام فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرءان الخ فقاموا اليه يضربون وجهه فرجع للصحابة يقول لهم : ما كان اعداء الله أهون علي منهم الآن . ولما استمر المؤمنون على ثباتهم وثب قريش على ضعفائهم يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر فما زادهم ذلك الا تصلبا في دين الله

هذا بلال بن رباح كان مملوكا لامية بن خلف وكان صادق الاسلام طاهر القلب فكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ويأمر بالصخرة العظيمة توضع على صدره ليرتد عن دينه وهو مع ذلك صابر يقول : أحد أحد . حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه

وهذا عمار بن ياسر وأبوه وأمه كان يخرجهم بنو مخزوم يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم عليه السلام فيقول لهم صبرا ءال ياسر موعدكم الجنة .

ولما رأى عليه السلام ما يصيب أصحابه من الاذى الذي لم ينله منه الا القليل لمكانته من ربه الذي سخر أبا طالب لحمايته ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقدر على أن يمنعهم قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه . فخرج عندئذ جماعة من المسلمين الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة

(١) غمزوه : ءاذوه

في الاسلام. وكان المهاجرون أحد عشر رجلا وأربع نسوة وفي رواية عشرة رجال وخمس نسوة تسللوا لواذا. منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ونزلوا بأرض الحبشة وأقاموا من ملكها أصحمة في خير جوار ثلاثة أشهر استراحوا فيها من أذى قريش وتمكنوا من اقامة دينهم والتجاهر بصلاتهم

وفي غيبة هؤلاء أسلم عمر بن الخطاب ودخل في الاسلام بالحمية التي كان يحاربه بها من قبل وأعلن أسلامه على رؤوس الملا وقاتل قريشا في سبيله وصلى في الكعبة مع المسلمين وبذلك خفف قريش من أذاية المسلمين لمكان عمر بن الخطاب من القوة والصلابة والشجاعة. فلما علم بذلك المهاجرون حنوا الى وطنهم وهم أقلية في دار غربة - وفي القلة وحشة - فرجعوا كلهم أو جلهم الى مكة. ولكن قريشا عادوا الى ايذاء المسلمين والى الامعان في عداوتهم أشد مما عرفوا من قبل. فعاد الى الحبشة منهم من عاد وبقي بمكة من بقي مستخفيا أو في جوار

وممن دخل في جوار: عثمان بن مضعون - دخل في جوار الوليد بن المغيرة لكنه رضي الله عنه لما رأى ما فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان لجوار الوليد ابن المغيرة قال: والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والاذى في الله لنقص كبير في نفسي، فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له: يا ابا عبد شمس وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك. قال: لم يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي. قال: لا، ولكني أرضي بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره. قال الوليد: فانطلق الى المسجد فاردد علي جواري. علانية كما أجرتك علانية. فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري قال: صدق، قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني أحببت ألا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة في مجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد:

ألا كل شي ما خلا الله باطل

فقال عثمان صدقت. فقال: وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول. قال لبيد: يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم متى حدث هذا فيكم. فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله. فرد عليه عثمان وعظم الامر بينهما فقام اليه الرجل فلطم عينه فأصابها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال له: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما اصابها لغنية لقد كنت في ذمة منيعة. فقال عثمان: والله إن عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله واني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس. فعرض عليه الوليد الرجوع الى الجوار فأبى

ولما رأى قريش أن ما ينالون به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليس بحائل دون إقبال الناس على دين الله تفاوضوا في أمر جديد يصنعونه بهم واتفقوا بعد ذلك على التعاقد فيما بينهم على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامة أو يسلموا النبي صلى الله عليه وسلم. وكتبوا كتابا علقوه في الكعبة تسجيلا التزموا فيه أن لا ينكحوهم ولا ينكحوا اليهم ولا يبيعوا ولا يبتاعوا منهم. ظانين أن هذه السياسة الجديدة سياسة التجويع ستكون أبلغ أثرا من الاذاية. فانحاز بسبب ذلك بنو هاشم وبنو عبد المطلب الى شعب ابي طالب مؤمنهم وكافرهم ما عدا أبا لهب. وعندئذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يهاجروا للحبشة فهاجر منهم عدد كثير يبلغ ثلاثة وثلاثين رجلا وثماني عشرة امرأة منهم جعفر بن أبي طالب وزوجه وعبيد الله بن محجش وزوجه أم حبيبه التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عقب وفاة زوجها الذي مات في مهجره بعث من يخطبها في الحبشة وزوجها النجاشي وبنى بها صلى الله عليه وسلم بعد عودتها بالمدينة. ثم لحق بهم من أسلم من الاشعريين الذين جاءوا من اليمن تحت رئاسة أبي موسى الاشعري

فلما رأى قريش أن المسلمين قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ائتمروا بينهم أن يبعثوا رجلين منهم الى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرا بن العاص وجمعوا لهما هدايا للنجاشي وبطارقته وهم وزراؤه. فلما علم بذلك أبو طالب بعث للنجاشي بأبيات يحضه على حسن الجوار والدفع عنهم يقول في ءاخرها :

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة ... وأسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة ... ينال الاعادي نفعها والاقارب

فلما قدم الرسولان أرض الحبشة سلما الى كل بطريق هديته قبل أن يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق إنه قد لجأ الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما نعم. ثم قابلا الملك وقدما اليه الهدايا وخاطباه في شأن المسلمين وأن يردهم. فقال له بطارقته : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما. فغضب النجاشي وقال : لاها الله ، قوم جاوروني في بلادي واختاروني على من سواي لا أسلمهم حتى أدعوهم فأسألهم عما يقولان هذان في أمرهم ، فان كانوا كما يقولان أسلمتهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني. ثم أرسل الى المسلمين فلما جاءهم رسوله اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه.

قالوا : نقول والله : ما أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن . فلما حضروا بين يديه وعنده أساقفته قال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل . فكلمه جعفر بن أبي طالب وقال له : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وءاباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (١) فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله . الى أن قال : فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك . فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء . فقال له جعفر : نعم . فقرأ عليه سورة مريم من أولها الى قوله تعالى : (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال إني عبد الله ءاتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته وقال النجاشي : إن هذا والله الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . إنطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما . فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به حضراءهم . فغدا عليه من الغد وقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما . فأرسل اليهم النجاشي ليسألهم فاجتمعوا وقرروا أن لا يقولوا الا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم . فقال جعفر بن أبي طالب : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي بيده الى الارض فأخذ منها عودا وخط به في الارض وقال وقد بلغت منه المسرة أكبر مبلغ : ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط . ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم شيوم (٢) بارضي من سبكم غرم ثلاث مرات . ما أحب أن لي دبرا (٣) من ذهب وأني ءاذيت رجلا منكم . فرجع الرسولان خائبين وأقام المسلمون خير مقام حتى هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة فأخذوا يرجعون شيئا فشيئا حتى السنة السابعة من الهجرة عند ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمر ابن امية الضميري بكتاب الى النجاشي يقول فيه :

---

(١) انظر قوله والصيام والزكاة مع أنهما شرعتا بعد الهجرة (٢) شيوم : ءامنون بالحبشة . (٣) دبر ـ بالفتح والكسر ـ جبل بالحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة سلام

أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله وإني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليه بكتاب ءاخر يطلب اليه رد من بقي من المسلمين الذين أقاموا بالحبشة الى المدينة . فقبل النجاشي الرسول والكتابين بغاية الاحترام وأسلم هو وقال لعمرو إني أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن أعواني بالحبشة قليل فانظر حتى أكثر الاعوان وألين القلوب . وجهز للمسلمين سفينتين حملتاهم وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ومعهم أم حبيبه رملة بنت أبي سفيان بعد أن مات زوجها ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه صلاة الغائب عند موته . ولما قدم بقية مهاجري الحبشة فرح بهم أخوانهم المؤمنون فرحا شديدا وقام النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر وعانقه وقال له : لا أدري بأي شيء أنا أشد فرحا بلقياك أم بالنصر على خيبر . لان ذلك كان عقب فتح خيبر .

ابراهيم النفير

بلاؤه وحلمه

صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال .

وقال أنس رضي الله عنه : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فادركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ، فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال الاعرابي : يا محمد مرلي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء .

ولما رجع من حنين جاءت الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى شجرة ، فخطفت رداءه ، فوقف صلى الله عليه وسلم وقال : أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمتها بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا .

ابتلاء الرسول

صلى الله عليه وسلم سنة الله في المرسلين

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك • وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس

كان عبد المطلب بن هاشم القرشي العظيم ، والعربي الصميم ، وجد الرسول الكريم ، طيب النفس كريم السجايا بسط اليد وهو مع ذلك سيد قريش وامامها في نسكها وزعيمها عند الخطوب تلك الزعامة التي نالها عن جدارة جده الاعلى قصي وورثها عنه اجداد عبد المطلب وانتهت الى عبد المطلب لم ينازعه منازع ولم يدانه قريب او بعيد وظل عبد المطلب مسموع الكلمة محبوبا في قومه معزز الجانب بما وجدوه فيه من كريم الصفات وبعد النظر والسعي الى الصالح العام الى ان هم بحفر زمزم المباركة تلك البئر التي اظهرها الله لام جده اسماعيل وطمستها جرهم لما احست بالغلبة واضطرت لمفارقة مكة والجلاء عنها فعزم على حفر البئر التي ستسهل عليه القيام بوظيفته التي انتدب اليها وقد كانت له رفادة الحاج وسقايته بعد عمه المطلب فقام بها احسن قيام ولاقى في سقاية الحاج كل مشقة لفقدان الماء بمكة واستعان على الحفر بابنه الحارث الذي لم يكن له في ذلك الحين سواه ولما علمت قريش من شان عبد المطلب ما علمت اقبل شيوخها وشبابها على البيت العتيق فالفوا عبد المطلب ومعه ابنه وبايديهما السيوف والدروع وقطع الذهب التي دفنتها جرهم في زمزم عند مبارحتها لمكة فثارت ثائرة قريش لمن سيكون هذا الكنز الذي ظهر في ارض المسجد والمسجد حرم عام لا يتفوق فيه أحد على أحد

هنالك أحس عبد المطلب بضعف في جانبه ، وأشفق من قلة الولد ودعا ربه أن يرزقه أبناء يشدون أزره ويحمونه في الشدائد فعزم على التزوج ثانيا وتزوج من فاطمة ابنت عمر بن عائد المخزومي واستولدها ابا طالب وعبد الله والزبير وتزوج نتيلة العمرية واستولدها العباس وضرار وتزوج هالة بنت وهب واستولدها حمزة والمقوم وتزوج امة لبني الخزاعية استولدها ابالهب وتزوج ممنعة واستولدها الغيداق وبذلك تم له عشرة ابناء سوى النسوة اللاتي ولدن له وهن ستة صفية وام حكيم وعاتكة وأميمة وأروى وبرة

اما حمزة فقد اسلم وحسن اسلامه وكان من المهاجرين الاكرمين واستشهد ببدر وحزن عليه رسول الله حزنا شديدا

واما العباس فكان له مع النبي ذلك الموقف المشهود يوم بيعة العقبة . وقد اختلفت الرواية في وقت اسلامه أكان ليلة العقبة ام بعد ذلك (ولم يسلم من أعمام الرسول سواهما وأسلمت من عماته صفية أم الزبير بن العوام)

واما أبو طالب فهو الذي كفل النبي بعد موت عبد المطلب وقد كانت لابي طالب المواقف المشرقة في أعزاز جانب الرسول ومناصرته والحيلولة دونه وقريش وحادث الصحيفة يدلنا على مبلغ عناية أبي طالب رأس الهاشميين بالنبي صلى الله عليه وسلم

وأبلغ ما يعبر عن ذلك قصيدته التي قال فيها

خليلي ما اذني لاول عاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل (١)

ولما رايت القوم لاود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل (٢)

وقد صارحونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل (٣)

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وابيض عضب من تراث المقاول (٤)

اعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء او ملح بباطل

❀ ❀ ❀

كذبتم وبيت الله نبزى « محمدا » ... ولما نطاعن دونه ونناضل (٥)

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل (٦)

❀ ❀ ❀

وما ترك قوم لا ابا لك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل (٧)

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل (٨)

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمة وفواضل (٩)

حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلها ليس عنه بغافل

لقد علموا ان ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الاباطل (١٠)

فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينا حقه غير ناصل (١١)

---

(١) بصغواء اي بمصغية اي لا اميل اذني لاول عاذل في حق ولا باطل (٢) القوم كفار قريش واراد بالعرى العهود مجازا والوسائل جمع وسيلة وهي ما يتقرب به (٣) صارحونا كاشفونا بالعداوة صريحا. والمزايل اسم فاعل من زايله اي فارقه وباينه وذلك اذا صرح بالعداوة (٤) صبرت حبست والسمراء القناة. سمحة اي لينة وابيض عضب اي سيف قاطع والمقاول جمع مقول بكسر الميم وهو الرئيس اراد بهم ءاباءه (٥) نبزى بالبناء للمفعول اي نغلب ونقهر عليه وهو جواب القسم على تقدير لا النافية على حد (تالله تفتؤ) ولما نافية والمطاعنة المراشقة بالرماح والمناضلة التراشق بالسهام (٦) نسلمه اي نخذله عطف على نبزى فيكون شريكه في النفي ونصرع ونذهل بالبناء للمفعول والحلائل جمع حليلة وهي الزوجة . قال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب لما اصيب يوم بدر انا احق بما قال ابو طالب كذبتم وبيت الله نبزى محمد البيتين (٧) ما استفهامية تعجبية والذمار ما يجب على المرء ان يحميه. ويحوطه يرعاه والذرب البذي اللسان والمواكل اسم فاعل من واكلت فلانا مواكلة اذا اتكلت عليه واتكل عليك (٨) وابيض عطف على سيدا الذي اراد به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الكريم والثمال العماد والعصمة ما يعتصم به ويتمسك والارامل جمع ارملة وهي التي لا زوج لها وقال ابن السكيت الارامل المساكين رجالا كانوا او نساء (٩) الهلاك الفقراء (١٠) يعنى بالبناء للمفعول من عني بالشيء اهتم به اي لا يهتم بالاباطيل (١١) الناصل الزائل المضمحل ومنه نصل الشعر اي زال عنه الخضاب

فوالله لولا ان اجيء بسبة تجر على اشياخنا في القبائل (١)
لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل

❀ ❀ ❀

لعمري لقد كلفت وجدا (باحمد) واخوته دأب المحب المواصل (٢)
فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها وزينا لمن ولاه ذب المشاكل (٣)
حدبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل (٤)

واما أبو جهل فهو الرجل الذي انتصب لمقاومة الدعوة التي جاء بها الرسول الامين ومقارعة النبي لا بالحجة والدليل بل بالعنف والاذى قولا وفعلا

وبقدر اخلاص ابي طالب للنبي ومناصرته له كانت مقاومة أبي جهل أو أشد فناصبه العداء من يوم أعلن الرسول فيه الدعوة لدين الله يوم نادى في قريش بكلمة التوحيد جهرا وصدع بما امره الله به ونادى في الناس بشيرا ونذيرا

وظهرت بوادر خبثه في حادثة المقاطعة واعلان الصحيفة وذلك سنة سبع من النبوة - ٦١٧ م. حيث كان ناسج بردتها وناوى قومه وسل نفسه من عشيرته وارتضى ان يكون زعيم المنشقين الضالين . وابتدع لقريش المقاومة السلبية ظنا منه أن ذلك سيحملهم على ترك النبي وشانه . ويتخلى أبو طالب عنه وبذلك يتمكن مما هو عازم عليه من المكر والغدر

ولما فشل في هذه السياسة التي عادت عليه ومن لف لفه بالفشل والخيبة عمد الى التشهير بالكذب على الرسول ورميه بكل نقصية افتراء عليه ليوهن الدعوة ويضل العرب عامة وقريشا على الخصوص . وجعل عيونا يترصدون النبي صلى الله عليه وسلم في غدوه ورواحه وحيثما ارتحل وأين نزل . فيتابعه في أسفاره ويسبقه الى المجتمعات لينشر ترهاته الضالة بين القبائل وفي المجتمعات حتى لا يجد الرسول اذنا صاغية لسماع ما سيتلوه عليهم من الذكر الحكيم لما يعلمه أنهم اذا سمعوا القرءان ءامنوا به فيقوم هو حائلا لا يترك من يجتمع بالرسول ويحذرهم تحذيرا .

واستمروا على طريقتهم في المقاومة السلبية بهذا النوع من التضليل الى ان مات ابو طالب (٥)

---

(١) السبة العار وتجر بفتح الجيم من جر عليهم جريرة اي جنى جناية وفي القبائل اي بين القبائل
(٢) اراد باخونه اولاده جعفر وعقيل وعلي جعلهم إخوته لانه كان متبنيا له (٣) الذب الدفع (٤) حدبت تعطفت والذرى جمع ذروة اعلى الشيء والكلاكل جمع كلكل بمعنى الصدر

(٥) توفي ابو طالب بعد النبوة بعشر سنين وقبل الهجرة بثلاث سنين وقد بلغ من العمر نحو ثمانين سنة. وبعد وفاته بثلاثة أيام توفيت خديجة زوج النبي رضي الله عنها ولها من العمر خمس وستون سنة . وقد عاشرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعا وعشرين سنة وستة اشهر وايدته في الدعوة بكل ما لها من قوة ومال سيما عند المقاطعة فقد أنفقت هي وابو طالب المال الكثير . فكان لوفاتهما رنة أسى وسمي ذلك العام بعام الحزن

فحسب ابو لهب كما سماه القرءان انه قادر على تنفيذ خطته الاولى فانبرم للنبي ولكن الله عصمه من الناس فانى لابي لهب وأبي جهل وأمثالهما أن ينالوا من رسوله وحبيبه وصفيه ما يريدون

فدبروا المكائد وأجهدوا انفسهم في النيل منه والحاق الاذى به . وتحمل صلى الله عليه وسلم كل ما دبره له بعزم صادق وايمان لا تزعزعه الرواسي الشامخات . وهو في كل يوم يزداد قوة والاسلام يزداد انتشارا رغم أنف أبي جهل وحزبه ، وأعيتهم الحيل فلم يجدوا سبيلا لاطفاء نوره والله متمم نوره ولو كره الكافرون

ولكن جرت سنة الله في رسله والمقربين من خواص عباده أن يبتليهم ليزدادوا قوة وايمانا ويكونوا أعظم قدوة لمن يروم السعادة لنفسه وللناس أجمعين

فهذا الامام مسلم يحدثنا في صحيحه من طريق عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس ذات يوم فقال في خطبته الا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا . كل مال نحلته عبدا حلال (١) واني خلقت عبادي حنفاء كلهم (٢) وانهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم (٣) وحرمت عليهم ما أحللت لهم وامرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا . وأن الله نظر الى أهل الارض فمقتهم (٤) الا بقايا من أهل الكتاب (٥) وقال إنما بعثتك لابتليك وأبتلي بك . وانزلت عليك كتابا (٦) لا يغسله الماء (٧) تقرؤه نائما ويقظان (٨) الى ان قال : استخرجهم (٩) كما استخرجوك وأغزهم نغزك (١٠) وأنفق فسننفق عليك . وابعث جيشا نبعث خمسة مثله (١١) وقاتل بمن اطاعك من عصاك قال : وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق . ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى ومسلم . وعفيف متعفف . قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر (١٢) له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا (١٣) والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق الاخانه (١٤) ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخل أو الكذب والشنظير (١٦) الفاحش

(١) ايْ ما اعطيته عبدا فهو مال حلال له وهو رد على المشركين فيما احلوه لانفسهم وما حرموه من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامى الى غير ذلك . (٢) اي مؤمنين واخذ عليهم العهد بذلك كما يشير اليه قوله تعالى : قال الست بربكم قالوا بلى . اي نعم انت ربنا . (٣) أي استخفوهم عن دينهم وازالوهم عما كانوا عليه وساقوهم معهم الى الباطل . (٤) أي بغضهم بسبب ما غيروا . (٥) أي اهل الاديان السماوية الذين بقوا متمسكين بدينهم الحق من غير تبديل الى بعثة النبي . (٦) أي القرءان . (٧) كناية عن حفظ الله له لا يتطرقه التبديل ولا التغيير على ممر الزمان . (٨) أي في سائر الحالات (٩) أي قريش . (١٠) أي نعينك (١١) أي من الملائكة مسومين . وذلك الامر بعد فرض الجهاد وغزوة بدر الذي نصره الله فيها . (١٢) أي لا عقل له يزبره ويمنعه من الكفر والمحارم (١٣) اي ضعفاء العقول فلا يسعون في تحصيل نفع يرجع الى الدين او الدنيا لا يبالون بما يكونون عليه من كفر أو غيره او حرام أو حلال فهم مع الناس وهم في الواقع كالانعام بل هم أضل سبيلا . (١٤) لا يخفي اي لا يظهر . وهو من الاضداد يستعمل في الستر والظهور (١٥) الفحاش السيء الخلق

فهذا الحديث القدسي بما تضمنه من التعاليم السامية قد تضمن ايضا أن من متممات البعثة الابتلاء، وكذلك شأن الانبياء والمرسلين من قبل

فهذا نوح قد ابتلاه ربه فكان من الصابرين . ونجاه الله وأهله من الكرب العظيم .

وهـذا ابراهيم عليه السلام إبتلاه ربه بنار نمروذ بن كنعان التي سلمه الله منها وكانت بردا وسلاما على ابراهيم

وهذا أيوب (إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الرحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)

وهذا لوط وصالح وثمود وموسى ويوسف وعيسى كل وقع له الابتلاء فما زادهم الا إيمانا وتثبيتا لما قاموا به من الدعوة لدين الله وبذلك نالوا المقام الاسمى ووصفهم الله في محكم التنزيل بأنهم أولو العزم

وعلى غرارهم كان الرسول الامين فيما لاقاه من قومه المشركين وفي مقدمتهم أبو جهل فما زالوا يترصدون به صلى الله عليه وسلم الفرص للايقاع به

فهذا ابو جهل فرعون هذه الامة (١) وأصحابه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة ابن ابي معيط وعمارة بن الوليد يتآمرون في بيت الندوة ثم يخرج أبو جهل في رفقة أصحابه ويحضرون عند المسجد الحرام يترصدون مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فأبصروه مسرعا الى البيت العتيق فتغامزوا يشير بعضهم الى بعض حتى اذا حضر صلى الله عليه وسلم وأخذ مكانه من الركن وشرع في صلاته أسر بعضهم الى بعض أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان الذي نحروه أمس فيضعه على ظهر محمد إذا سجد . فانبعث عقبة بن ابي معيط مسرعا فجاء به . وتربص حتى اذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره المقدس بين كتفيه الشريفتين . وجعلوا يضحكون ويستهزئون تشفيا بما أغاضهم . وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا لا يرفع رأسه حتى أقبلت فاطمة البتول فطرحت عن ظهره صلى الله عليه وسلم ما وضعه ذلك الشقي (٢)

وليس ذلك كل ما لاقى صلى الله عليه وسلم بل نقلت الينا كتب السنة الشيء الكثير وأعظم إذاية في نظر الصحابة لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ذلك الموقف الذي وقفه عقبة بن ابي معيط من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وحضره أبو بكر فألفاه ممسكا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وضع الخبيث ثوبه في عنقه الشريف وقد خنقه به خنقا شديدا فأخذ أبو بكر بمنكب عقبة ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . اعتبارا بما عزم عليه عقبة من الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم والغدر به وهو في الصلاة (٣)

ولما أعيتهم الحيل وأدركوا ما بلغ اليه أمر الاسلام من المنعة بعد بيعة العقبة عقدوا ذلك الاجتماع الرهيب في دار الندوة الذي أسفر عن مؤامرة تشترك فيها بطون قريش كلها وينفذ الخطة شبابها العتيد كما يزعمون وتقوم الدية مقام القتال لو طالبهم آل هاشم وثارت ثائرتهم إن قتلوا رسول الله

ولكن الله خيب ظنونهم فذهبت ادراج الرياح وأوحى الى نبيه ما بيتوه له من المكر وذلك قوله تعالى : وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . وعصمه الله وذلك قوله تعالى : والله يعصمك من الناس . وأذن له في الهجرة ونصره عليهم وذلك قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا .

محمد الشاذلي ابن القاضي

---

(١) ذلك الاسم أطلقه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه صريعا في قليب بدر (٢) حديث رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن . (٣) الحديث رواه البخاري وغيره

وصف هجرة النبي

صلى الله عليه وسلم الى المدينة

من قلم الامام محمد بن اسماعيل البخاري

حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ قَالَ ابنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ (أي الاسلام) وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى بَلَغَ بَرْكَ (١) الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ (٢) . فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي. فَقَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ : فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٣) وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ (٤) وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَأَنَا لَكَ جَارٌ (٥) ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ . فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ. فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ . أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ .وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ .مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا. فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ (٦) دَارِهِ وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَذِفُ (٧) عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ - فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَانْهَهُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ . فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا

(١) هو موضع بارض اليمين . والغماد موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن (٢) قبيلة من بني الهون (٣) وفي رواية المعدم (٤) هو ما يثقل حمله من القيام بشؤن العيال ونحوه (٥) اي مجير امنع من يؤذيك . (٦) السعة حول الدار (٧) يتساقطون عليه

أَنْ نُخْفِرَكَ (١) وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الاسْتِعْلَانَ . قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ . فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ (٢) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكَ (٣) فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ (٤) قَالَ نَعَمْ فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ - كَانَتَا عِنْدَهُ - وَرَقَ السَّمُرِ (٦) أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ (٧) قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا (٨) - فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ . قَالَتْ عَائِشَةُ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصَّحَابَةَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : نَعَمْ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالثَّمَنِ . قَالَتْ: عَائِشَةُ فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ (٩) الْجِهَازِ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا (١٠) فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ - فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِ (١١) قَالَتْ عَائِشَةُ : ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ (١٢) لَقِنٌ (١٣) فَيُدْلِجُ (١٤) مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ (١٥) إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ . وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً (١٦) مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ

---

(١) أي نتقض عهدك (٢) أي قاصدا الرحيل اليها (٣) أي مهلك (٤) أي أفديك بابي (٥) أي منعها من الهجرة (٦) شجر الطلح (٧) أي في أول وقت حرارة الشمس (٨) أي مغطيا رأسه (٩) من الحث وهو الاسراع (١٠) هو ازار فيه تكة تلبسه النساء (١١) وفي رواية ذات النطاقين لأنها بعد ان قطعت من نطاقها شقت المقطوع الى قطعتين (١٢) معتدل القامة (١٣) سريع الفهم (١٤) أدلج سار في أول الليل وادلج بتشديد الدال سار من آخره (١٥) أي يطلب المكر بهما (١٦) اي قطعة

فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا (١) حَتَّى يَنْعِقَ (٢) بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ . وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا - وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ . وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّاحِلِ ● قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ جَاءَنَا رُسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ : يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً (٣) بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ . قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا يَبْتَغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ (٤) فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ (٥) بِزُجِّهِ (٦) الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا (٧) فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي (٨) حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْالْتِفَاتَ سَاخَتْ (٩) يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ (١٠) سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي (١١) وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ أَخْفِ عَنَّا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ

(١) هو اللبن الذي جعل فيه الحجارة المحماة لتزول وخامته . وقيل هي الناقة الحلوبة (٢) اي يصيح بها (٣) اي اشخاصا (٤) هي الرابية المرتفعة عن الارض (٥) اي سكنت (٦) هي الحديدة التي في اسفل الرمح (٧) اي سقطت عنها (٨) من التقريب وهو السير دون العدو وفوق العادة (٩) اي غاصت (١٠) هو الدخان من غير نار (١١) اي لم ياخذا مني

أَديم (١) ثمّ مضى رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . قال ابْنُ شِهاب : فأخبرني عُرْوةُ بنُ الزُّبَيْر أنّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عليه وَسلَّم لَقِيَ الزُّبَيْرَ في رَكْبٍ مِنَ المُسْلِمين كانوا تجارًا قافلينَ مِنَ الشّام فكسا الزُّبَيْرُ رسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ. وسَمِعَ المُسْلِمُونَ بالمدينة مَخْرَجَ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مَكّة فكانوا يَغْدُونَ كُلَّ غَداةٍ إلى الحَرّة فينتظرونه حتّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أطالُوا انتظارَهُمْ فلمّا أوَوْا الى بُيوتِهِمْ أوْفَى رَجُلٌ مِنْ يهودَ عَلى أُطُمٍ (٢) مِنْ آطامِهَا لأَمْرٍ يَنْظُرُ إليه فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عليه وَسَلَّمَ وأصْحابِه مُبَيَّضِين يَزُولُ بهم السَّرابُ فلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ انْ قالَ بأعْلى صَوْتِهِ يا مَعاشِرَ العَرَبِ هَذا جَدُّكُمُ الذي تَنْتَظِرُونَ فَثارَ المُسْلِمُونَ إلى السّلاحِ فتَلَقَّوْا رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الحَرّة فَعَدَلَ بِهِمْ ذاتَ اليَمِينِ حَتّى نَزَلَ بهمْ في بَني عَمْرِو بن عَوْفٍ. وَذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّل . فقامَ أبو بَكْرٍ للنّاس وَجَلَسَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا فَطَفِقَ مَنْ جاءَ مِنَ الأنْصارِ مِمّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عليه وَسَلَّمَ يُحَيِّي أبا بَكْرٍ حتّى أصابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقْبَلَ أبو بَكْرٍ حتّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بردائِهِ فَعَرَفَ النّاسُ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَبِثَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بَني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وأُسِّسَ المَسْجِدُ الذي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى . وصَلّى فيه رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبَ راحِلَتَهُ فَسارَ يَمْشِي مَعَهُ النّاسُ حَتّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فيه يَوْمَئِذٍ (أي يوم الرواية) رجالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ . وكانَ (أي عند مقدم النبيّ) مِرْبَدًا للتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ في حَجْرِ أسْعَدَ بن زُرارَةَ فقالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ راحِلَتُهُ هَذا إنْ شاءَ اللّهُ المَنْزِلُ ثُمّ دَعا رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغُلامَيْنِ فساوَمَهُما بالمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فقالا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يا رَسُولَ اللّهِ فأبى رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عليه وَسَلَّمَ أنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُما هِبَةً حتّى ابْتاعَهُ مِنْهُما ثم بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ في بُنْيانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ :

هَذا الحِمالُ لا حِمالُ خَيْبَرْ * هَذا أبَرُّ رَبَّنا وَأطْهَرْ

ويقول : اللّهُمَّ إنَّ الأجْرَ أجْرُ الآخِرَة * فارْحَمِ الأنْصارَ وَالمُهاجِرَة

فَتَمَثَّلَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لي : قال ابنُ شِهابٍ ولَمْ يَبْلُغْنا في الأحاديثِ أنّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تامٍّ غَيْرِ هَذا البَيْتِ

(محمد بن اسماعيل البخاري) *

---

(١) هو الجلد المدبوغ (٢) أي طلع على مكان عال (٣) هو الحصن * في صحيحه

هلال له يمن وفيه مآرب

نثبت هنا القصيدة الفريدة التى تضمنت وصف الهجرة النبوية من نظم العالم الاديب الشيخ محمد الناصر الصدام المدرس من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

بـدا مشرقا تنجاب عنه الغياهب   هـلال له يمن وفيه مئـارب
الا يا هـلالا لاح بالافـق طالعا   ألم يـأن للاسـلام منـك المطالب
وفي هجرة المختار للكون عبـرة   يجدد ذكراها الزمَـان المناسب
نبيء أتى والكون في غمراتـه   وللشرك طغيان وللظلم جانب
وفي العرب العرباء للشعر سطـوة   وفي نبإ الكهان بالغيب راغب
ومن سيء الاخلاق والغي والعدا   غياهب جهـل ضاعفتها غيـاهب
عتـو واعـراض ووأد وجـرأة   وادمان غارات لهـم فتحارب
فصبحهم من محكم الـذكر منـزل   وأعجزهم عن سورة منه حاجب
كتاب به وعظ وعلم وحكمة   لـه في تفاصيل الغيوب العجـائب
يجيء بـه الروح الامـين منجمـا   لتثبيت قلـب هيـأته المـواهب
ولما رأوا من أمره كل خـارق   وضاقت عليهم في الجدال المذاهب
وبان لهم ما فيه تسفيـه حلمهـم   وأن رسول الله لا شـك غالب
وأن الذي وافى به الصدق والهدى   ومـا هو بالساهي ومـا هو كاذب
أصروا عنادا جاحـدين حقائقـا   يؤيـدها إحساسهـم والتجـارب
وقاموا بإيـذاء النـبيء وصحبـه   فما منهم الا عن الرشد ناكب
رموه رموا بالذل في عقر دارهـم   . وتبت يدا من لم تعنه المكاسب(١)
وجاءوا من التعذيب والهجر والبذى   أفانـين يأبـاها الحجى والتقارب(٢)

---

(١) فيه تخصيص لابي لهب بعد دخوله في العموم السابق مع الاشارة الى ما نزل في حقه من كتاب الله تعلى ـ (٢) المراد منه القرابة وكفى بها حرمة لكف الاذى ومن الاذاية التى تأباها القرابة ايضا ما كانوا عليه من الركون الى اللغو عند ما كان يأتيهم صلى الله عليه وسلم تاليا لما انزل عليه وذلك قـوله سبحانه (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون) ولما للقرابة من الآداب المـرعية والحرمات لقنه الله تعلى التذكير بها في قوله تعلى (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى)

فما انتج التعذيب الا تجلدا   وتثبيت ايمان به الشرك خائب(٣)
ولكن أبى الهادي اهانة قومه   وأن يستديم الشر من هو جالب
فرخص للاصحاب في هجرة بها   أزيل العنا والبؤس واعتز جانب
ودام على المعتاد لله داعيا   بفارغ صبر لم ترعه النوائب
وكيف يراع القلب بعد سكونه   لانس قد ارتاحت اليه القوالب
قل الله ثم اترك على الخوض خائضا   وذر لاعبا يلهيه ما هو لاعب(٤)
ثبات وتأييد وفرط تيقن   بأن اله العرش للنصر واهب
الى أن أتاه الاذن في خير هجرة   بها شعشع الاسلام والكفر ذاهب
فهب الى الصديق عن غير موعد   لاعداد ما تجتاز معه السباسب
وكانت قريش قد أحست بأنه   عسى أن به يوما تخف النجائب
وتلك التي تبدي سفاهة رأيهم   وتنقض منها في قريش المصائب
ومن بعد شورى (خيب الله فالها)   وأخذ ورد ترتئيه الاكالب
رأوا أيسر الامرين قتل محمد   يقوم به من كل شعب الاعارب
لكي يحفظوا من عزهم بمماته   ولا يدركن الثار من هو طالب
فسار بجوف الليل تلقاء يثرب   وهم حوله والله واق وحاجب
ورافقه الصديق يبتدر الاذى   الى غار ثور وهو حيران ناصب
فناداه لا تحزن(٥) لنا الله ثالث   الا ان حزب الله بالله غالب
وسرعان ما باض الحمام وبادرت   لنسج بديع الصنع ثم العناكب
هنا لك باء القوم بالخزي والاسى   وشاهت وجوه قد عراها التقاطب
فخفوا لادراك الرسول تطلبا   وشدت لهم في ذا المهم الركائب
ولما أتوا للغار وهو مظنة   سما لهم يأس وضاقت مذاهب
فقالوا علام نقتحمه ونسجه   كثيف السدى ما مسه الدهر ناقب

هذا هو المعنى المراد والله أعلم لا كما عليه أغلب التفاسير من ان الآية آمرة باكرام آل بيته صلى الله عليه وسلم حسبما بسطنا ذلك مدللا في كتابتنا على هاته الآية

(٣) نسج هذاالبيت على منوال قوله تعلى (فما زادهم الا ايمانا وتثبيتا) الآية

(٤) فيه تضمين الحديث الوارد في كتب السير ونصه على ما في المواهب اللدنية حيث قال وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدنيه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفي التنزيل (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)

وعادوا الى أم القرى عود خيبة كما خسىء الشيطان يرميه ثاقب

فقالوا لمن يأتي به خير مغنم له من كرام النوق حمر نجائب

وبعد ثلاث من ليال قد انقضت على مكثه بالغار وهو يراقب

أتيح له الافراج والامن ناجيا وسار بيمن الله يقفوه صاحب

فمرا على تلك الخزاعية (١) التي خوى ضرع عجفاها فما هي حالب

فقال لها هات أحلبنها لعلني أصيب بإذن الله ما أنا صائب

فدرت لهم لبنا كفى كل حاضر وعاودها در من الضرع شاخب

ولما أتى زوج (٢) الخزاعية انبرى يسائلها عما رأى وهو عاجب

فقالت له ذا در عجفاك مسها فتى يده فيها من اليمن جالب

فقال لها هذا الذي ألحق الاذى قريش به والله ما هو كاذب

ولو أنني أبصرته لاتبعته وما أنا عن رشد بدا بعد ناكب

وقد كان أن المدلجي سراقة أتاه من الانباء ما هو راغب

فأسرع يعدو خلف أكرم مرسل وللخيل انجاد لمن هو راكب

ولما أتى الركب السعيد وشاقه منال وأغراه بذاك التقارب

عرا مهره داء العثار فراعه وأنهضه زجرا وسار يواظب

الى أن هوت منه اليدان وساختا بصلب أديم طينه الدهر لازب

هنالك وافاه من الرأي رشده وفي كل ذي لب من الرشد ثائب

وبان له نور الرسول وصدقه وأنه سيف الله والله ضارب

فناداهم بالامن والنصح مخلصا وقال لهم إني الى الله تائب

وعاد الى أم القرى رادعا لمن يرى انه لا شك بالظفر آيب

ومن بعد ذا اجتاز الرسول وصحبه بعبد رعت اغنامه وهو لاذب(٣)

فقال له امنحنا من الدر شربة فقد أعوزتنا في الطريق المشارب

فقال يمين الله ما في التي ترى حلوب بها در فما أنا حالب

ولكن هنا عندي(٤) عناق قد انقضى على حملها عام وها هي ناضب

---

(١) اسمها عاتكة وكنيتها ام معبد بنت خالد الخزاعية اه مواهب

(٢) لم يذكر اسمه في المواهب واقتصر على كنيته ابي معبد

(٣) اسم فاعل من لذب بالمكان اذا اقام به اه قاموس

(٤) العناق كسحاب الانثى من اولاد العنز اه قاموس

فقال اطلبنها ثم باشر حلبها ... ثلاثا فدرت وارتوى منه شارب

فأسلم ذا الراعي وقال تيقنا ... سوى الواحد الديان لاشيء واجب

ولما دنى من نحو طيبة ركبه (١) ... وبانت لهم آطامها والمسارب

وكان بها بعض اليهود قد اعتلى ... لينظر في أمر له ويراقب

تراءى له نور الرسول وصحبه ... وزال سراب دونه الركب حاجب

فنادى بأعلى الصوت اوسا وخزرجا ... الا سعد ثم وافى تقل النجائب

فخفوا لملقى خير من وطىء الثرا ... سراعا وكل تابع ومصاحب

وحل قباء في بني عوف الاولى ... حظوا بمرام انتجته الرغائب

ودام بهم (٢) بضعا وعشرين ليلة ... بأرغد عيش واستطيبت مشارب

وأسس عن تقوى بها مسجدا (٣) له ... مزية سبق فاقتفته المحارب

وبارحهم سعيا لطيبة مرخيا ... زمام قلوص (٤) وهو جذلان راكب

فقام له الانصار حذو ديارهم ... وكلهم داع وفي الخير راغب

هلم رسول الله تأو لمنعة ... وركن قوي لا يروم المحارب

فقال لهم لا تمسكوها فانها ... لقد أمرت والامر هاد وجاذب

فمرت توالي بالطريق التفاتها ... لمبركها الميمون وهي تواثب

الى أن أتت دار النجار فبركت ... وقد جذبتها بالعراص الجواذب

فألقت اذا منها الجران (٥) وأرزمت (٦) ... ليفهم مغزى فعلها من يراقب

فنازلها في ذي المنازل قائلا ... الا ها هنا النزل السعيد المناسب

وضاءت به أرجاء طيبة وازدهت ... وقد عمها بشر وعزز جانب

وأشرف ربات الخدور بمدحة ... يرددها عند القدوم الكواعب

الا مرحبا ذا البدر أقبل مشرقا ... تحف به من كل أوب الكواكب

ونقرن بالدف العزوف ترنما ... وكل بفرط البشر جذلان لاعب

فيا له من يوم أغر محجل ... الى مثله تصبو العلا والمواكب

ففي كل قلب حل أعماقه الهدى ... لواعج شوق جمرها الدهر لاهب

---

(١) جمع اطم وهو الحصن

(٢) هو اثنتان وعشرون ليلة اه مواهب

(٣) هذا المسجد هو مسجد قباء وهو اول مسجد بني في الاسلام وهو المراد في قوله تعلى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) وقباء هذه بينها وبين المسجد النبوي بالمدينة فرسخ

(٤) القلوص من الابل الشابة او الباقية علي السير او اول ما يركب من اناثها الى ان تثني ثم هي ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالاناث اه قاموس

(٥) الجران بكسر الجيم وفتح الراء باطن العنق اه مواهب

(٦) أرزمت الناقة اذا صوتت من غير ان تفتح فاها اه مواهب

الهجرة النبوية

مبدأ التاريخ الاسلامي

بقلم صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سيدي محمد
الحجوي وزير المعارف بالحكومة المغربية

ان الهجرة اذا وردت على لسان المحدثين وعلماء السير تطلق على هجرتين هجرة المسلمين من مكة الى أرض الحبشة وهجرتهم من مكة الى المدينة المنورة والاولى كانت قبل الثانية بنحو سبع أو ثمان سنين اذا كانت في السنة الخامسة من مبعثه عليه السلام وعند الاطلاق في العرف العامي تنصرف الى الثانية واليها ينسب تاريخ المسلمين العربي القمري في اقصى الشرق والغرب فمبدأ تاريخنا من اليوم الذي هجر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه ابو بكر الصديق مكة الى المدينة . وهو اليوم ١٦ من شهر يوليه من سنة ٦٢٢ ميلادية اذا قلنا ان الهجرة كانت يوم الجمعة في المحرم ويرجحه جعل عمر والصحابة المجمعين حوله المحرم اول شهور السنة الهجرية ولا مانع يمنعه من جعله ربيع الاول النبوي لو كانت الهجرة فيه كما قيل له وهذا الاخير قول ابن اسحاق وغيره . فاذا قلنا بقول ابن عباس انها كانت يوم الاثنين يكون موافقا لليوم التاسع عشر من يولية

ان لاكثر الامم القديمة في المعمور تواريخ تؤرخ بها حفظا للنظام والحقوق ومعرفة اوقات الوقائع التي لا تتم معرفتها الا ببيان اوقاتها . فللصين تاريخ ولليهود تاريخ وللامم المسيحية تاريخ وللاسلام تاريخ .

وفي كل نفس من طموح ونجدة ... عوامل عزم لا تفل القواضب
رويدك لا تيأس لطول سباتهم ... فرب سبات هب منه المثالب(١)
ورب منام كان للعقل منتجا ... جماما فحطت عن علاه الثواقب
أما قد(٢)أتى حين من الدهر لم يكن ... به المرء مذكورا وها هو صاخب
ومن سنن الاجيال قبل نهوضها ... رسوب وبعد الطين تصفو المشارب
فهبوا بني الاسلام للمجد هبة ... تزول بها أوصابكم والغياهب
وكونوا كما (٣)قال الرسول لهيكل ... اذا ما اشتكى عضو تداعى المصاحب
وعوا ما انطوى في ضمن أروع هجرة ... لقد أفعمتها من علاه المناقب
ففي سوقها الذكرى وفي العمل المنى ... فيروي حديث الحمد عنها العواقب

---

(١) المثالب بضم الميم اسم فاعل بمعنى المقاتل قاله في لسان العرب (٢) فيه تضمين لقوله تعلى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٣) تضمين لحديث الصحيح المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا الحديث

وكل منها يجعل أهم جوادثه مبدأ لتاريخه فالمسيحيون من ولادة المسيح والمسلمون من يوم الهجرة النبوية .

كان العرب في جاهليتهم يؤرخون بأهم الوقائع من حروب وغيرها فاهل المدينة كانوا يؤرخون بعام حرب بعاث واهل مكة يؤرخون بعام الفيل الذي هجم فيه أبرهة قائد الحبشة على مكة ونجاها الله منه. فقلة الحضارة والمدنية التي أدتهم الى الامية وجهل التاريخ لم يكن لهم تاريخ مدون يحفظون به مجدهم وتجتمع عليه كلمتهم فاذا جاءت واقعة ثانية نسوا الاولى وصاروا يؤرخون بهذه وهكذا دواليك كلما تجددت قضية أنست ما قبلها وكل امة لم يكن لها مجد مدون ولا تاريخ ترجع اليه فهي في عداد الهمل والمهمل .

فلما جاء الاسلام وحضارته والدين القويم ومدنيته فكر سيدنا عمر بن الخطاب فيما يضبط به التاريخ ويكون مرجعا لتوقيت الاوامر والنواهي والكتب والمناشير حين ورد عليه كتاب بعض عماله مؤرخا بشعبان فقال أي شعبان هذا هل الذي في عامنا او الذي قبله بسنة او سنتين . فكر في هذا الامر الهام مثل تفكيره في احداث نظام لعدلية الدولة ونظام ماليتها واصدر بذلك مناشيره التي لم تزل نصوصها محفوظة الى الآن فجمع الصحابة وشاورهم كالعادة عنده في مهام الامور فاتفق الرأي على ان يكون تاريخنا الذي نؤرخ به الى الآن مبتدأ من عام الهجرة النبوية التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وهي الهجرة الثانية . (١)

لاي شيء اختاروا الهجرة دون الولادة النبوية او الوفاة او غزوة بدر التي اعتز بها الاسلام او فتح مكة مثلا ؟

الجواب — لم يختاروا الولادة النبوية لامور فيما أظن :

١ - ان يبتعدوا عن تقليد النصارى والتشبه بهم . وان يبتكروا لانفسهم ما هو كالعنوان على استقلال الفكر وبعد النظر

٢ - ان يعملوا بمقتضى الاشارة النبوية في الحديث الشريف الصحيح لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فكان عمر ومن معه يبتعد عن كل ما يؤدي لذلك او يشعر به خوف ان تقع الامة فيما وقع فيه المسيحيون من تأليه المسيح

٣ - أن الولادة النبوية مؤرخة بعام الفيل وفيه اختلاف ،ولم تكن الوقائع مضبوطة قبل الاسلام لمكان الجاهلية . وكان عمر يتجنب الجدال وما فيه اختلاف ويحب بناء المهمات على اليقين دون الخيال

اما الوفاة النبوية فقد كان وقتها محققا مضبوطا ولكنهم تجنبوها لامور فيما اظن ايضا

١ - لعلهم رأوا انها رزء عظيم على الاسلام فتكون رمزا للاسى والحزن فتجنبوا ان يجعلوا تاريخهم منها تناسيا للذكريات الفاجعة

(١) كان الشيخ اعتبر الهجرة الاولى والثانية الى الحبشة هجرة واحدة لاتحاد المهجر وانما تكررت

٢ ـ لم يستحسنوا فصل تاريخهم عن حياة النبي كلها بل احبوا ان يكون صدر تاريخ الاسلام حياة زاهرة لنبيه الكريم عليه السلام وتكون هي تاجا وهاجا فوق رأسه

٣ ـ عملوا فيها ايضا بحديث لا تطروني

واما واقعة بدر وفتح مكة فانهما مع أهميتهما لا تكونان كأهمية الهجرة كما نبينه بل هما امران جزئيان بالنسبة للهجرة النبوية وما ظهرت مزيتهما الا بالهجرة وايضا فيهما ذكريات يتألم بهما من اصيبوا فيهما واسلموا هم أو أولادهم

نعم اختاروا الهجرة مع ما فيها من الذكريات الفاجعة لامور سبعة فيما ظهر لي

١ ـ قصدوا تثبيت هذه الذكرى الفاجعة في اذهان الامم الاسلامية ليعلموا ما قاساه النبي صلى الله عليه وسلم والسابقون الاولون من اصحابه من شدائد واضطهادات وإهانات تندك لها الجبال الشم ويجف لها اليم ، وهم ثابتون على مبدئهم القويم ودينهم المستقيم

فاننا في مشارق الارض ومغاربها مهما أرخنا بالتاريخ الهجري الا وتذكرنا الهجرة واهوالها وما نتج لنا عن صبرهم على لاوائها من خير وعز وشرف ونعيم فنثبت كثباتهم ونصبر كصبرهم ونعمل كعملهم ثباتا وتحملا

٢ ـ الهجرة كانت اول فتح في الاسلام باعتبار عاقبتها المحمودة ، فان الاسلام لما كان بمكة كان في حضن الباطل وحجره اذ كان سجينا مضغوطا مغلوبا تحت رحمة الشرك في مكة وناهيك ببلاء من يكون تحت رحمة عدو جاهل جائر فالمسلمون كانوا لا يقدرون على الجهر بافكارهم ولا بتوحيد خالقهم وتلقينه لاولادهم ولا يقدرون على قراءة القرءان ذي المبادي والاخلاق العالية . فان ابا بكر الصديق هاجر هجرته الاولى من مكة الى الحبشة فلقي في طريقه ابن الدغنة فرده الى مكة في جواره وقال له مثلك لا يخرج من وطنه فشرط عليه كفار مكة ان لا يعلن الدعوة ولا يجهر بالقرءان لئلا يسمعه النساء والصبيان وان لا يدعو احدا للدخول في الدين فقبل الشرط لكنه لم يصبر على الاستعباد فبنى مسجدا بباب داره واصبح يصلي ويقرأ القرءان جهرا فأرسل اهل مكة لابن الدغنة وتشكوا اليه بان نساءهم وصبيانهم يفتتنون بسماع القرآن فجاء وطلب منه الكف عن ذلك والا فسخ عقد الحماية فاختار ابوبكر فسخ عقد الحماية عن شمم وشرف معتمدا على حماية الله متوكلا عليه صابرا محتسبا فعادوا وشدوا الخناق عليه وبالغوا في اذايته واهانته

ولقد قاطع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصروه في شعب ابي طالب من شعاب مكة هو وقرابته المسلم منهم والكافر من بني هاشم وبني المطلب الذين ابوا من إسلامه اليهم ليقتلوه ويحبسوه الا ابا لهب عمه ومكروا بهم المكر المبرم وقطعوا عنهم مواد الحياة ان تصل اليهم وكتبوا البراءة والمقاطعة معهم في صحيفة وعلقوها بالكعبة معلنين فيها قطع المعاملة معهم ببيع او ابتياع او إنكاح حتى

جعل الله لهم فرجا وخرجوا من الحصار في حالة ضنك وشدة وكان ذلك سنة سبع او ثمان من المبعث وبقوا في الحصار سنتين او ثلاثا وفي سنة خمس او ست قبلها قد اختفى النبي صلعم بدار الارقم ابن ابي الارقم بالصفا المقابلة للمروة بمكة مدة شهر هو وجميع من كان مسلما معه وكانوا تسعة وثلاثين يعلمهم القرءان والدين فكان الاسلام محصورا في هذه النقطة الضيقة لا يملك من سعة الكرة الارضية غير هذه الدار حتى اسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب عند ذلك تقلدا سيفيهما وخرجا به الى الكعبة قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله وظهر بعد الاستخفاء وذلك في السنة السابعة قبل الهجرة وهي السادسة من النبوة ومن هذه النقطة الدقيقة التي كان الاسلام محصورا فيها انتشر النور على الكرة الارضية ثم ان هذا الظهور لم يتم معه الامر وانما كان تخفيفا في الجملة . فلم يزل المكر الشركي محيطا بالمسلمين بل الضغط والاهانة والتعذيب فقد اخذوا بلالا وربطوه على حجارة مكة في ظهيرتها التي لا تقل عن الجحيم وعذبوه ليرجع للكفر فلم يرجع حتى فداه ابوبكر بالمال فاشتراه منهم، واعتقه واخذوا عمار بن ياسر ووالده وامه العجوز الهرمة وعذبوهم باكثر من ذلك وجاء ابو جهل وادخل حربته في فرج هذه العجوز وهي تعذب فاسلمت الروح وكانت اول من استشهد في الاسلام

وتعدى مكرهم الى نفس النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه ابي طالب الذي كان يدافع عنه قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وكذلك زوجه خديجة التي كانت خير رده له عليه السلام فقد لببه عقبة ابن ابي معيط بثوبه حتى خنقه فجاء ابوبكر ومنعه منه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وجاء ابو جهل وطرح النبي صلى الله عليه وسلم على الارض ووطىء برجله على عاتقه

ولما بلغ الاذى بالنبي صلى الله عليه وسلم هذا المبلغ واكثر منه خرج الى الطائف يعرض نفسه على قبيلة ثقيف ليحموه فينال حريته في نشر دينه ويبلغ رسالة ربه فردوه اقبح رد وسلطوا عليه صبيانهم وعبيدهم يضربونه بالحجارة حتى ادموا عراقيبه ورجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي وذلك سنة عشر من المبعث ثم صار يعرض نفسه على القبائل العربية ايام موسم الحج في الاشهر الحرم التي يكون فيها السلم ولا يقدرون على الوصول اليه

عند ذلك هيأ الله له الانصار الاوس والخزرج من اهل المدينة فوعدوه النصر في العقبة الاولى عقبة منى وكان ذلك بعد نحو عشر سنين من المبعث ثم وقعت منهم بيعة العقبة الثانية في السنة التي تليها ثم بيعة العقبة الثالثة في السنة بعدها .

ولما رأى قريش ظهور علامات نهوض الدين الاسلامي زادوا في التضييق على الرسول ومن معه وائتمروا على قتله فاعلمه الله بذلك وأمره بالهجرة فهاجر مختفيا من مكة الى المدينة هو وصاحبه ابوبكر الصديق في قصة معلومة في السير بعد ما قاسى ثلاث عشرة سنة او خمس عشرة سنة من الشدائد اهوالا هو ومن اسلم معه تشيب الصبي وتهرمه

ولما ان هاجر هيأ الله له الانصار لنصرة الدين ومن لحق به من المهاجرين من امكنه اللحوق وأفلت من حبس المشركين وضغطهم فعند ذلك تمكن من نشر الدين وتبليغ الرسالة وظهور المبادي العالية للعالم فلهذا قلت ان الهجرة كانت فتحا للاسلام فهي احق ما يؤرخ به ويؤيد رأينا هذا القرآن قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا الآية فصدر الآية وعجزها يدلان ان الهجرة كانت نصرا وتأييدا واعلاء لكلمة الله وحطا لكلمة الكفر وذلك مما لا يمتري فيه مسلم

٣ - الاسلام له اطوار الطور الاول كونه جنينا في بطن مكة الثاني خروجه للحياة العامة وانتقاله لطور الظهور للملا وهذا الطور بلغه بالهجرة وبسببها انتشر في العالم

٤ - الهجرة بها تدرب المسلمون على التضحية بالمال والاولاد والنفس حيث هجروا ديارهم واموالهم واهلهم حبا في مباديهم والامم لا تتحرر الا بالتضحية قال الله تعلى : قل ان كان ءاباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله الآية .

٥ - بالهجرة استيقن الرسول من رسوخ ايمان اصحابه وانهم صادقون في وعودهم حيث امتثلوا الامر وهاجروا معه وتركوا كل شيء لهم في مكة وصاروا فقراء كما وصفهم الله بقوله لله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولآئك هم الصادقون . ولا يمكن للرسول ان ينظم امر الدعوة ويضع نظام الشرع الاسلامي ما لم يستيقن ايمان الاعوان والاصحاب الذين يقومون بما عهد اليهم اتم قيام عن اخلاص وانقطاع . والنظام حياة الامم

٦ - الهجرة فرقت بين الحق والباطل كما قال عمر اذ بها صار للاسلام صولة وامكنه حمل السلاح على اعدائه وصار مسلحا بعد ما كان أعزل وصار قوة بعد ما كان ضعفا

٧ - بالهجرة أصبح الاسلام له شريعة ذات احكام عملية فرعية يعدل بها في الاحكام اذ كثر بعدها نزول الاحكام من حرام وحلال وما نزل قبلها فغالبه في العقائد . والشريعة هي نظام المجتمع الاسلامي النظام العسكري والمالي والعدلي والعائلي وكل الانظمة الاجتماعية والدينية وانظمة مظاهر الحياة كلها وهي الرابطة التي حققت وحدة الاسلام وبينت الحقوق وصانت العدل من الحيف والتلاشي ولا حقيقة لحياة امة دون العدل والنظام

الرباط في ٣ محرم سنة ١٣٥٨

محمد الحجوي الثعالبي الجعفري

تنبيه

قد برز مع الجزء الثاني من هذا المجلد الفهرس العام للمجلد الثاني وقد غفل عنه كثير من القراء فلذا وجب التنبيه وقد اتصل به جميع المشتركين صحبة الجزء . فالمراد ضمه للمجلد المختص به

التاريخ بالهجرة الشريفة

وموسم رأس العام

بقلم العالم المؤرخ أمير الامراء
سيدي محمد بن الخوجه

عند انبلاج صبح اليوم الاول من محرم الجاري استقبل المسلمون في مشارق الارض ومغاربها عاما هجريا جديدا وهو عام ثمانية وخمسين وثلثمائة والف عرّف الله خيره فذلك اليوم المبارك جدير بأن يلفت بذكراه أنظار عامة المتلفظين بكلمة التوحيد نحو صاحب الهجرة الشريفة الا وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله الى الخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا.

أما المقصود من هذا التحرير فهو الالمام بحديث الهجرة النبوية من حيث اتخاذها مبدأ للتاريخ بالنسبة لعامة المسلمين . ذلك أن الامم كانت في الزمن المتقدم على البعثة المحمدية تؤرخ بحوادث الازمان وأولها بدء الخليقة بعد هبوط ءادم عليه السلام وهذا التاريخ مستفاد في زعمهم من التوراة المكتوبة باليونانية وقد قدروه بستة ءالاف سنة ومائتين وست عشرة سنة قبل الهجرة وهو قول المؤرخين وخالفهم فيه الفلكيون حيث قالوا ان بين هبوط ءادم والهجرة خمسة ءالاف وسبعمائة وتسعا وستين سنة والقولان مخالفان لما جاء في نسخة التوراة السريانية وهذه بدورها مخالفة لنسخة التوراة العبرانية فالتاريخ بمبدإ الخليقة ضرب من الرجم بالغيب لا سيما وان علم طبقات الارض وهو من العلوم الحديثة التي حفت من أجلها الاقلام وجف مداد المحابر قضى على مثل هاتيك المزاعم بالدليل والحجة . والمقام لا يقتضي الاطناب لانه يبعدنا عن المقصود انما تعرضت له بطريق الاشارة المجردة توطئة لتسجيل بعض التواريخ المشهورة في أقدم العهود كالتاريخ بطوفان نوح عليه السلام وبينه وبين الهجرة ثلاثة ءالاف وتسعمائة واربع وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ودونه بنحو مائتين وسبعين سنة على اختيار الفلكيين وهم المنجمون في اصطلاح الاقدمين . قال في عيون المعارف : انهم بعد الطوفان أرخوا بنار ابراهيم عليه السلام ولما تفرق بنوه من بعده أرخ بنو اسحق بنار ابراهيم الى زمن يوسف ومن يوسف الى مبعث موسى ومن موسى الى ملك سليمان عليهم السلام ثم أرخوا بما كان من الكوائن ثم بخروج اليهود الى التيه (بكسر التاء المشددة وبفتحها مع سكون الياء . معناه الكبرياء) ثم أرخوا بخراب بيت المقدس . واما بنو اسماعيل عليه السلام فأرخوا ببناء الكعبة المشرفة وداموا كذلك الى أن تفرقوا فأرخوا بعد ذلك بما اشتهر بينهم من الوقائع الهامة كيوم الفجار وحرب البسوس وسيل العرم وعام الفيل وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشرين من نيسان ٥٧١ للميلاد

وأما النصارى فقد كانوا يؤرخون أيضا بحوادث أزمانهم وهي كثيرة من أشهرها غلبة الاسكندر على الفرس واستقر تاريخهم في ميلاد عيسى عليه السلام . والفرس وهم أرقى الامم في الزمن القديم

كانوا يؤرخون بملوكهم وءاخر تاريخ لهم هلكة (يزدجرد) وقس على ذلك ما حفظه التاريخ من أسماء بقية الشعوب والامم البائدة والباقية فكل أمة كان لها تاريخ تؤرخ به كالاشوريين والكلدان والاقباط والانباط وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر . وهذا يغنينا عن الاشارة لكون أهل الصين والهنود من اصقاع الشرق الاقصى يدعون انقضاء عشرات الالوف من السنين على تاريخهم ومن اراد زيادة البسط فعليه بالرجوع لخطط المقريزي . ولنضرب صفحا عن كل ذلك لنقول أن التاريخين القديمين اللذين لهما علاقة في هذا الزمان باهل تونس هما التاريخ المسيحي ونحن في عامه التاسع والثلاثين بعد تسعمائة والف وتاريخ اليهود وهم في عامه التاسع والتسعين وستمائة وخمسة ءالاف . هذا وقد اختلف المؤرخون والفلكيون في مدة الزمان الواقع بين تاريخ الميلاد وبين الهجرة الشريفة ولكلا الشقين أقوال وانقال والشيء الذي إعتمده كتاب التاريخ ودرجوا عليه في هذا الزمان هو أن الهجرة النبوية كانت في اليوم الموافق لسادس عشر تموز وهو اسم شهر يوليه في السريانية من سنة اثنتين وعشرين وستمائة للميلاد وهذا اليوم يوافقه الجمعة في حساب الايام قال بعض العلماء أن الهجرة كانت بالجمعة ولكنه قول شاذ وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجرا يوم الاثنين وقيل كان خروجه من مكة المكرمة يوم الخميس وقال في المثل الكامل : ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الى المدينة المنورة بعد أن صلى الجمعة بمسجد قبا - وقبا من احواز دار الهجرة - وكان الانصار محيطين به وهم متقلدون سيوفهم فسر أهل المدينة أيما سرور وقد خرج لملاقاته فيمن خرج النساء والصبيان والولائد ينشدن :

أشرق البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا ... جئت بالامر المطاع

وللابيات بقية لم يذكرها صاحب المثل الكامل ننقلها هنا ترحيبا بدخوله للمدينة عليه السلام :

صل يا رب عليه ... ما دعا لله داعي
اقبل البدر علينا ... واختفت منه البدور
مثل وجهك ما رأينا ... قط يا وجه السرور
انت شمس أنت بدر ... أنت نور فوق نور
انت والله يا محمد ... أنت مفتاح الصدور
وأتانا بك غيث ... حل في كل البقاع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داعي
يا إمام المرسلين ... يا شفيع المذنبين

أرسلك مولى الموالي — رحمة للعالمين
قال رب فادخلوها — بسلام ءامنين
مرحبا أهلا وسهلا — بك يا بدر تجلى
أشرقت شمس المعاني — قد بدا وجهك يجلى
وانجلى بك الظلام — من سنى حرمك وولى
يا إلاهي بالمشفع — صاحب القدر المرفع
لا تخيب يا إلاهي — كل من حضر ويسمع (١)

قلت هذا الكلام الموزون ينسبونه للطيبات الصالحات بنات النجار رضي الله عنهن وبنو النجار هم اخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه يعني أخوال عبد الله بن عبد المطلب

واختلف العلماء فيمن وضع التاريخ الهجري فبعض المحدثين روى بسنده الى ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة في شهر ربيع الاول أمر بالتاريخ وعلى هذا القول يكون ابتداء التاريخ الهجري في عام الهجرة ولكن هذه الرواية يخالفها المشهور بين جمهور العلماء وهو أن ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الحافظ الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي من اعلام المائة السادسة : دفع الى عمر صك محله شعبان قال عمر شعبان هذا الذي مضى أو الذي هو ءات أو الذي نحن فيه ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ضعوا للناس شيئا يعرفونه فقال قائل اكتبوا تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله فاجتمع رايهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه أقام بالمدينة عشر سنين فكتب التاريخ على هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال سعيد بن المسيب : أول من كتب التاريخ عمر رضوان الله عليه لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة علي بن ابي طالب رضوان الله عليه وقال غيره من الرواة : أن عمر كتب التاريخ في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة فكتبه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة . وقال القلقشندي في صبح الاعشى بالنقل عن ذخيرة الكتاب : لما أراد عمر التاريخ جمع الناس للمشورة فقال بعضهم نؤرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل بوفاته وقال بعضهم بل بهجرته من مكة الى المدينة لانها أول ظهور الاسلام وقوته فصوبه عمر واجتمع رأيه عليه . ثم قال وكان وقوع ذلك في اليوم الثاني عشر من شباط (اي فراير) سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين لذي القرنين . ونقطة الاتفاق بين أصحاب تلك الاقوال المختلفة التي ذكرناها هي ان قائليها وغيرهم ممن لم نذكره أجمعوا على أن عمر رضي الله عنه لما وضع التاريخ الهجري رده لليوم الاول من محرم بمعنى أنه ابتدا حساب التاريخ لا من يوم استقر قراره على وضعه بل من مستهل المحرم الواقع في عام الوضع مع اعتبار المدة التي مضت قبل ذلك من يوم

(١) يظهر للقارئ أن بقية الابيات فاقدة للروح العربية فلعلها من نظم بعض المتاخرين ذيل بها الاصل (المجلة)

الهجرة الشريفة الى غرة محرم عام الوضع وعلى مقتضى تلك النتيجة الثابتة الصحيحة جرى عمل المسلمين من عهد عمر بن الخطاب الى هذا الزمان وسيبقى ان شاء الله كذلك ما بقي الدهر.

واذا كان وضع التاريخ الهجري وقع سنة ست عشرة بعد الهجرة فلتعلم أن وضع التاريخ المسيحي لم يقع الا بعد الميلاد بنحو اربعة قرون وقد رأيت فيما تقدم الاضطراب الذي تناول تاريخ اليهود قبل استقراره فيما هو عليه اليوم

هذه خلاصة القول في وضع التاريخ الهجري بالنقل عن المسانيد الصحيحة وبقي لنا الكلام على يوم راس العام أهو موسم أم لا ؟ وسرعان ما نقول إنه ليس بموسم شرعي والمواسم الشرعية معروفة وهي عاشوراء وليلة القدر واتفق جمهور العلماء على انها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان. ولفظ رمضان اذا قصد به شهر الصيام لا بد من تقديم لفظ شهر قبله ومثله الربيعان الاول والآخر ولا يقال ربيع الثاني لانه ليس لهما ثالث وكذلك الجماديان الاولى والآخرة وهذا الخروج عن الموضوع جاءت به القافية. فلنعد لما كنا بصدده لنقول ان بقية المواسم الشرعية هي يوم عرفه. والحجل عرفات. ويوما الفطر والاضحى ولك ان تقول النحر. واختلفوا في ليلة المعراج من رجب وفي ليلة نصف شعبان هل هما موسمان شرعيان ام لا ولا خلاف في أن موسم المولد الشريف ليس بموسم شرعي اتفاقا لانه حدث في اوائل المائة السابعة وانما تلبست به صبغة المواسم في هذه الديار وفي غيرها من بلاد الاسلام من اجل العادات والسنن المباركة التي قضت بالحاقه بالمواسم العظمى تنويها بقدر واشهار الذكره

اما يوم راس العام الهجري وان هو ليس بموسم في أصله فقد تقرر اعتباره في البلاط الحسيني منذ نحو مائة سنة كموسم رسمي صاروا يحتفلون به ويقيمون له موكبا خاصا بدار الامارة ولكنه دون موكب المولد والعيدين. وهذه المواسم الثلاثة صار اعتبارها مع موسم عاشوراء اعيادا قانونية بتونس يتمتع بعطلتها كل المتوظفين والمستخدمين بالمصالح العمومية حتى الذين لا يدينون بدين الاسلام واعلم ان موسم راس العام بتونس بدأ ضئيلا ثم تدرج في مدارج الفخامة والظهور الى أن بلغ للحد الذي هو عليه الآن وحديثه هو ما نقصه عليك : ففي الدولة المرادية وما قبلها كانت المواسم بهذه الديار هي المواسم الشرعية والمولد النبوي وكان لهم مع ذلك موسم ربيعي نسبة لربيع الزمان لا لربيع الشهور يقيمونه في شهر مايه وصفه المؤرخ ابن ابي دينار وصفا حسنا وهذا الموسم بقي له اثر بتونس الى الازمان المتأخرة ولعله انقرض تماما في هذا العهد. وكان عامة السكان من أهل المدن يستقبلون العام الجديد في افتتاحه باكل بعض الحلويات واشهرها عندهم المقروض لا يبغون بغيره عنه بديلا فقد حكى في المؤنس باسناده لغيره قوله : عجبت لمن في بيته المقروض كيف ينام الليل . وكان الطعام الذي لا يتخلفون عن اكله يوم رأس العام هو الملوخية يفعلون ذلك تفاؤلا بالخير لما في خضرتها من الرجاء وحسن الامل وهي لم تكن معروفة عند العرب قبل المائة الرابعة. قالوا ان الاطباء وصفوها للمعز لدين الله عند

نزوله بمصر حيث لم يوافقه طقسها فدبروا له قانونا من العلاج في جملته ورق الملوخية وكان اسمها يومئذ الملوكية فوجد لها نفعا في التبريد والترطيب وعوفي من الامساك الذي كان به فتبرك بها وسار من ذلك الحين ذكرها وانتشرت في البلاد . هذا حديثها والعهدة فيه على غيري لاني ناقل لا مبتكر بيد أن هذا التعريف يدعوني للاشارة لقول من يقول ان لفظ ملوخية ربما كان مقتبسا من الملنخوليا في اليونانية وهي الموافقة لكلمة ميلانكلي في الفرنساوية ومعناها قريب من السوداء، ولم يتعرض لها الشيخ داود في التذكرة بأكثر من قوله : ملوخيا ويقال ملوكيا من الخبازى . ومهما كان الحال فعادة أكل الملوخية بالديار التونسية يوم رأس العام مضت عليه القرون بحيث انك لا تجد بيتا أهليا بشهيرات المدن التونسية غنيا عنها في مستهل كل عام جديد وما زالت الامهات عالقات بها وحريصات على عدم اغفالها والعادة طبيعة خامسة في الانسان. هذا ومن المقرر المعلوم أن البيوت التونسية وعلى رأسها البيت الحسيني الرفيع العماد وءاله هم السادة القادة لاهل البلاد ومن أشهرهم ذكرا واوفرهم فخرا المشير الاول أحمد باي فهذا الامير هو الذي سن موسما لرأس العام بالتوسيع فيه على حاشيته وأهل قرابته حيث افترض بميزانية دولته ترسيم اعتماد مالي خاص بذلك اليوم وكان هذا المال في البداية قدره خمسمائة ريال من مضروب سكة الفضة وكان صرف الريال الفضي في ذلك الزمان خمسة ريالات الا انه لم يشترط في ذلك المال أن يكون بضرب العام الجديد بل كان يكتفي بتوزيع قطع جديدة من ضرب أي عام كان حتى اذا استقرت تلك العادة ورسخت بين أهل السراية الملكية فكرة الفرح والازدهاء والاحتفال برأس العام توسعوا في ذلك بطبيعة الحال ـ وكل حي نام ـ الى أن تلبس ذلك اليوم بالصبغة الموسمية بين أهل الدولة بوجه عام. ولما استوى المشير الثاني محمد باي على العرش الحسيني ابتدأ من حيث انتهى سلفه فقرر سنة توزيع المسكوك ذهبا وفضة من ضرب العام الجديد ورتب لذلك موكبا رسميا ينتصب فيه لقبول التهاني من ءال بيته ورجال دولته ؛ وعلى قياس صنيع هذا الباي جرى عمل اخيه المشير الثالث محمد الصادق باي بزيادة عناية وتفخيم في مظهر الموكب المنعقد يوم رأس العام حيث كان ينتصب له بقصر باردو واتفق له ذات مرة حضور هذا الموكب السنوي بكسوة الانكشارية التي اتخذها عام ١٢٨١ فكان رأسه متوجا بعمامة من الحرير المقصب زادته مهابة وجلالا ومثله كان لباس وزرائه وأهل دولته. سمعت من الوزير المرحوم السيد الطاهر خير الدين انه كان لديه رسم ذات والده بالزي المتحدث عنه.

ولما تولى المقدس المبرور المولى علي باي الثالث أريكة الملك الحسيني نسج على منوال أسلافه الاكرمين فعقد لعهده أول موكب لرأس العام في غرة المحرم سنة ١٣٠٠ بقصر المرسى المعمور وممن حضر هذا الموكب يومئذ حسب ما وقفت عليه بالرائد التونسي العلامة الشيخ أحمد بن الخوجة شيخ الاسلام فأجلسه سمو المولى الامير ليمينه وسمع منه في ذلك الموكب المشهود قصيدته التي يقول في مطلعها :

تهلل وجه الملك بالطلعة الغرا ودار السرور الصرف في الاكؤس البشرا

ولم يزل المولى علي باي متحفظا باجراء هذا الموكب في اوقاته الى ءاخر ساعاته غير أنه لما أدركه الهرم في السنوات الاخيرة من عمره كان لا يحضر هذا الموكب الا الوزراء وكبار أهل الدائرة الملكية وفي مدة أخلافه المقدسين المولى محمد الهادي باي والمولى محمد الناصر باي والمولى محمد الحبيب باي كان الاحتفال ليوم رأس العام من أفخر مواكبهم سوى أنهم لا يلبسون فيه كسوة التشريفية الكبرى قياسا على أسلافهم في الزمن الماضي . ويكون انعقاد هذا الموكب بالسراية التي يسكنها الامير حسب فصول العام يعني اما بقصر الشتاء واما بقصر الصيف حسب الظروف والاحوال

اما سلوك حضرة ولي النعم سيدنا ومولانا أحمد باشا باي نضر الله وجهه فقد جاء معززا ومؤيدا لسلوك اسلافه المقدسين بزيادة التوسع منه أطال الله عمره في الانعام والاحسان لمن حول سدته من أهل الرفعة والشان ومن تلكم الملاطفات والتوجهات ان سموه الملوكي يتحف بمناسبة يوم رأس العام جناب وزيره الاكبر بهدية سنية زيادة على مسكوك الذهب والفضة وهي عادة سنها البايات السابقون وعادات الملوك ملوك العادات . ومن العادة أيضا أن صاحب العرش الحسيني بعد أن يتلقى فروض الولاء والطاعة والتهاني يوم العام الجديد من ءال بيته ورجال دولته وأهل دائرته وحاشيته يزوره بعد ذلك في وقت خاص ممثل الدولة الحامية بتونس لتهنئة حضرته العلية أصالة عن نفسه ونيابة عن فخامة رئيس الجمهورية . ومن البديهي أن ألسن الشعراء تتسابق يوم هذا الموسم المبارك نحو ساحة المولى الامير لالقاء غرر البديع من قصائد المديح على شريف أسماعه ويكون افتتاح هذا المهرجان بترتيل بعض ءايات الذكر الحكيم بالصوت الرخيم وسموه يشمل الجميع بواسع عطائه وفضله .

وقد جرت عادة الملوك الحسينيين ان يفتتحوا العام الجديد بمظاهر البشر والتفاؤل بالخير فيجعلون احكامهم واوامرهم ونواهيهم قاصرة يوم رأس العام على ما فيه البشرى والسرور كالولايات الدينية والتوقيع بالعفو والصفح الجميل عن المجرمين وفيه يتولى صاحب العرش الحسيني امضاء حسابات وكيل الدار الكريمة ويشرف بذاته على توزيع ريعها على مستحقيه من ءال بيته الكريم في موكب مهيب يحضره الوزراء وامراء الامراء ومدير الشئون وهذه الاحباس انجرت لهم من اسلافهم الاكرمين وكان تناولها التلاشي في مدة وزارة مصطفى بن اسماعيل فجمع شتاتها في اوائل هذا القرن المولى علي باي الثالث قدس سره ورتب نظامها على اسلوب حكيم . ومن مجموع ما تقدم يتضح جليا رسوخ موسم رأس العام الذي يذكرنا يوم الهجرة الشريفة فيا لها من منقبة منيفة كتبتها يد الاقدار بمداد الذهب في صحيفة حسنات البيت الحسيني لان الملوك الحسينيين هم الذين سنوها بين أهل هذه الديار وأحكموا تنظيمها وانتظامها حول الاعصار بما سيبقي لهم جميل الذكر الى ءاخر الادهار

ونختم هذه النبذة بطرفتين احداهما لا تخلو من فائدة . والاخرى جاءت على حد قولهم : ما

بعد إذا زائدة . فالاولى هو انك اذا أردت الموافقة بين السنين الهجرية والمسيحية طردا وعكسا فعليك ان كان المقصود تحويل عام هجري لما يقابله في التاريخ المسيحي أن تطرح من ذلك العام الهجري الجزء الثالث والثلاثين منه وان تضيف للبقية عدد ٦٢٢ تكون الجملة هي السنة الميلادية المطلوبة وان كان العكس فابدأ بطرح عدد ٦٢٢ من السنة المسيحية ثم اضف للبقية الجزء الثاني والثلاثين منها تكون الجملة هي السنة الهجرية المطلوبة وهذه القاعدة لا تتخلف ما دام واحد نصف الاثنين وأما الطرقة الثانية فانها نتيجة احصائية تكلفتها لضبط مبتدأ قرن هجري كامل ووقع اختياري على القرن الثالث عشر فكانت تلك النتيجة بالضبط الصحيح ما نذكره : وافق كل من أيام الاحد والثلاثاء والخميس مدخل خمس عشرة عاما ووافق كل من ايام السبت والاثنين والاربعاء مدخل أربع عشرة عاما ووافق يوم الجمعة مدخل ثلاث عشرة عاما فقط والجملة مائة .

وعلى ذكر ايام الاسبوع نلحق بتينك الطرفتين طرقة ثالثة وهذه فيها فائدة لمن لا يعرف جموع هاتيك الايام :

فالسبت يجمع على اسبت وسبوت — والاحد يجمع على آحاد وأحدان — والاثنين لا جمع له لانه مثنى فاذا تكلفنا ايجاد جمع له قلنا الاثانين — والثلاثاء بالمد ويقال الثلاثاء بالضم ايضا يجمع على ثلاثاوات قاله في مختار الصحاح — والاربعاء بالمد ويقال ايضا الاربعاء بفتح الباء يجمع على اربعاوات قاله في مختار الصحاح وقال في القاموس المحيط الاربعاء مثلث الباء وهما اربعاءان والجمع اربعاءات — والخميس يجمع على اخمساء واخمسة والخميس ايضا الجيش — والجمعة بالضم ومثلها الجمعة بسكون الميم وهما جمعتان والجمع جمع وجمعات وما مضى فات وكل ما هو آت آت

محمد بن الخوجه

تنبيه

بناء على تواني بعض الوكلاء للمجلة في تقديم حساباتهم سواء في القطر التونسي أو في الجزائر والمغرب فقد قررت ادارة المجلة قطع ارسال المجلة اليهم

وعليه فالادارة تطلب من الجهات التي لا تصل اليها المجلة وكلاء امناء ليمكننا ان تعتمد عليهم في المستقبل

ونتعذر لاهل تلك الجهات عن قطع ارسال المجلة لذلك السبب

ذكرى الهجرة النبوية

على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم

من القلائد الغالية والدرر العالية للشاعر الكبير
الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة العامر

من افق مكة نور الحق قد وضحا — ثم انتحى يثربا فجرا فعاد ضحى
دين بـه نزل الروح الامين على — طـه فجلى اباطيل الورى ومحا
لما بدا كعمود الصبح منبلجا — يروق منظره الوضاح من لمحا
وانبث في جنبات الكون كر على — ليل الاباطيل ذي الاغساق فافتضحا
كان الانام على عوجاء مدرجهم — حدا بهم للردى حادي الهوى ونحا
حادوا عن الرشد في قول وفي عمل — نالوا الشقاء بـه والتعس والترحا
حتى اذا المنقذ الهادي اطل دنا — نهج الرشاد لمن يقفوه وافسحا
وحط إصر واغلال ببعثته — عن الورى طالما من ثقلها رزحا
محمد خاتم الارسال جاء بها — شريعة كسنا الاصباح حين ضحا
دعا اليه الهدى ام القرى فئة — كم قد بغت وعصت من عيها النصحا
جارت قريش عن القصد السوي وقد — شامت هنالك باب الرشد منفتحا
دعاهم للتي فيها سعادتهم — دينا ودنيا بقول افحم الفصحا
فما استجابوا له الا بمعصية — وغادروا نصحه نسيا ومطرحا
وكافؤه عن الحسنى بكل اذى — وكل ذي عمل رهن بما اجترحا
والخير او ضده منب بصاحبه — كذا الاناء بما يحويه قد رشحا
جفوه جهلا وصدوا كل مقتبس — منه وكادوا واذوا من به انتصحا
ثم استجاب له من يثرب اسد — غر ميامين كل للهدى كدحا
وبايعوه على أن ينصروه ويئو — وه ومن عن سبيل الغي قد جمحا
فهاجر الغر صحب المصطفى زمرا — إلى المدينة حيث الدين قد صرحا
قوم إلى الله قد باعوا نفوسهم — بحسب ذي الود ان يهدي لهم مدحا
ساروا تباعا فلاقوا كل تكرمة — من معشر لا يفيهم مدح من مدح
هناك اوجس اهل الشرك خيفة أن — يدال للدين منهم واصطلوا برحا
فاجمعوا امرهم كي يطفئوا حسدا — نور الاله فلاهم ربهم ولحا

فاظهر الله ما قد اضمره فما ... لمتجر جهدوا فيه بما ربحا
اوحى الاله بما قد بيتوه الى ... رسوله وبما كادوا فما نجحا
وآذن الله خير الخلق ان له ... في كسبه ما يهز المهتدي فرحا
وانها سوف تغدو دار هجرته ... فليرتحل حيث امر القوم قد برحا
فسار عن مكة مغناه مبتئسا ... وفارقه المال والاهلين واطرحا
يؤم طيبة فاهتزت له طربا ... وافتر للدين ثغر بعد ما كلحا
فياله سفرا فيه العناية من ... ذي العرش بانت وعرف اللطف قد نفحا
فكم بدا خارق اثناءه بهر الـ ... ـعقول اعجازه حقا وكم سنحا
سل عن نباه حمى البطحاء اذ حشرت ... له العدا معشرا للسلم ما جنحا
حفوا ببيت رسول الله وهو به ... وكأس مكرهم بالغدر قد طفحا
فسار عنهم بمرأى منهم ومضى ... من بعد ما الترب في هاماتهم طرحا
وما أحسوا به الا وقد بعدت ... منه الخطا فاشنوا عن بيته طلحا (١)
وسائلن غار ثور حين لاذ به ... وأتبعوه وكل حقده لفحا
فلم يروه وهم منه على كثب ... غادين للبحث عنه فيه او روحا (٢)
رأوا ببابه نسج العنكبوت وور ... قاء رؤما فظنوا انه نزحا
واسأل سراقة حين اشتد خلف رسو ... ل الله يعدو فلم يبلغ لما طمحا
يعلو جوادا به ساخت قوائمه ... غداة هم به جرما لقد قبحا
وما نجا منه الا بعد توبته ... وبعد ما صدره نحو الهدى انشرحا
الى سوى تلك مما ذاع مخبره ... وصح بين رواة القوم واتضحا
وحين وافى رسول الله طيبة واحـ ... ـتف الصحاب به تاهت به مرحا
الفاهم في ارتقاب نحو طلعته ... كل تقلد رسم الحرب وانشحا
فيا لها ساعة ما كان اسعدها ... بمثلها الدهر يوما قلما سمحا
ويا لطيبة دار اليمن ان بها الـ ... ـاسلام قد نال مما رام مقترحا
بها قد انتشرت في الكون دعوته ... فشاهد الحق منها من قد التمحا(٣)
وأقبل الناس افواجا تدين له ... سيان من قد تدانى او قد انتزحا
ودالت الدولة الميمون طالعها ... على قريش له لكنه صفحا
وسارت الريح شهرا عرفها عبق ... بنصره وهزار السعد قد صدحا
فيا لها هجرة ما كان ايمنها ... ويا لها محنا قد اعقبت منحا

علي النيفر

(١) جمع طليح وهو المصاب بالاعياء

(٢) جمع رائح (٣) اي ذهب ببصره على حد قول ابي الطيب انا الذي نظر الاعمى الى ادبي

الآيــات الالـهـيــة

في الهجرة المحمدية

بقلم الاستاذ النحرير الشيخ محمد البشير النيفر
احد الاساتذة الاعلام بجامع الزيتونة الاعظم

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين الآية (٣٠) من سورة الانفال

الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم الآية (٤) من سورة التوبة

جلت عناية الله بعبده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه لرسالاته . وأيده بآيــاته ، وأعلى على الكلم كلماته ، وذلك فضل الله يختص به من يشاء من عباده ، على وفق حكمته ومراده .

مكر الذين كفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم فمكر الله والله خير الماكرين ، ونصره على قلة الاولياء وكثرة الاعداء « إذ اخرجوه والله خير الناصرين ، فتبارك الذي صدق وعــده ، ونصر عبده ، وله الحمد والشكر وحده .

إن المؤمن لتنزل السكينة على قلبه ، ويزداد إيمانا بربه ، كلما تلا آيات الله وذكر نعمه السابغة ، في تأييد رسول الله وخاتم النبئين ، وإظهار دينه على كل دين ، وفي هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة ، إلى المدينة المنورة ، لمظهر عظيم ، من مظاهر التأييد الالهي الحكيم

« عنــاية الله بالرسول صلى الله عليه وسلم إذ مكر الذين كفروا والآيــات التي تقدمت الهجرة »

ذكرت آيات الانفال الثلاثون الرسول عليه الصلاة والسلام بنعمــة الله عليه إذ مكــر به الذين كفروا ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه

والاثبات الشد بالوثاق والارهاق بالقيد . والحبس المانع من القاء الناس . والقتل معروف . وقد دبروا له تدبيرا ، لا يكون ضرره فيهم كبيرا ، والاخراج النفي من الوطن

ويروي كثير من أهل التفسير بالمأثور أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلــم : ما يأتمر بك قومك ؟ قال يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني . فقال من أخبرك بهذا ؟ قال ربي . قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا . قال أنا أستوصي به ؟ بل هو يستوصي بي فنزلت : وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية

ولكن قفى الحافظ ابن كثير على أثر هذه الرواية بقوله : وذكر ابي طالب في هذا غريب جدا بل منكر لان هذه الآية مدنية ، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الاثبات أو القتل او النفي إنما كان ليلة الهجرة سواء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترؤا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم باعبائه اه كلامه

وتكلف بعض حذاق المفسرين بتصحيح هذه الرواية ودفع ما فيها من غرابة وإنكار لذكر أبي طالب قال : ويجوز أن يكونوا قد تحدثوا به قبل إجماعه وإرادة الشروع فيه الذي وقع بعد موت أبي طالب فبلغه فسأل النبيء صلى الله عليه وسلم عنه اه وفي النفس منه شيء

قال الحافظ ابن كثير : وقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن جثيم بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا بنية ؟ فقالت يا أبت ومالي لا أبكي وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد رأوك لقاموا فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عزف نصيبه من دمك فقال يا بنية ائتني بوضوء فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا ها هو ذا فطأطئوا رؤسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شاهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً ثم قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا أعرف له علة اه

وفي هذا من الآيات الالهية طأطأة رءوسهم وسقوط رقابهم بين ايديهم لما رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان من موت من وقعت عليهم الحصيات يوم بدر كفاراً وكل هذا مما تقدم خروج الرسول صلى الله عليه وسلم

وقريب من هذه الرواية ما روي عن ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فامره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابه وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رءوسهم وأخذ الله بابصارهم عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ يس والقرآن الحكيم إلى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ، وقال الحافظ ابو بكر البيهقي روي عن عكرمة ما يؤيد هذا

وفي هذا من الآيات إطلاع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما أريد به وأخذ الله بأبصار المشركين

« الآيات الالهية عند الهجرة »

نطقت الآية ٤٠ من سورة التوبة ان الله نصر رسوله صلى الله عليه وسلم اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين وأنزل السكينة عليه او على ابي بكر على اختلاف المفسرين وأيده بجود لم تر

وفي كتب الحديث والسيرة من الآيات الخوارج ما يتجلى به النصر والتأييد اللذان نطقت فيهما الآية الكريمة

١ - ففي قصة سراقة لما خرج في طلب النبيء صلى الله عليه وسلم وهي عند البخاري في حديث الهجرة المطول : حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبوبكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فأستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ وفي حديث أنس وهوالثامن عشر من أحاديث باب الهجرة في صحيح البخاري ايضا : فالتفت النبيء صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اصرعه فصرعه فرسه

٢ - وفي حديث أسماء بنت ابي بكر عند الطبراني : وخرجت قريش حين فقدوهما في ابتغائهما وجعلوا في النبيء صلى الله عليه وسلم مائة ناقة وطافوا في جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوبكر يا رسول الله ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ملائكة تسترنا بأجنحتها فجلس ذلك الرجل يبول مواجهة الغار فقال النبيء صلى الله عليه وسلم لو كان يرانا ما فعل هذا

وما في هذه الرواية يفسر ما جاء في الآية الكريمة : وأيده بجنود لم تروها فقد ذهب جماعة من المفسرين أنهم الملائكة ومنهم الامام الجليل محيي السنة البغوي قال في تفسير هذه الآية : وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا اهـ وأقول لا مانع من الجمع بينهما ويؤيد ما في حديث أسماء عند الطبراني من صرف الله الابصار عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه حديث الصحيحين أن أبا بكر قال قلت للنبيء صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه قال فقال يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما

والحديث يفسر ما في الآية الشريفة : اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا ويتصل بها قوله تعالى : فأنزل الله سكينته عليه وقد أخرج ابن أبي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله فأنزل الله سكينته عليه قال على ابي بكر لان النبيء صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينة معه

وأخرج نحوه الخطيب في تاريخه عن حبيب بن ابي ثلفة

وذهب جماعة الى ان الذي أنزل الله عليه السكينة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى كلتا الطريقتين فانزال الله السكينة من آياته البالغة

٣ ـ وفي حديث ابن عباس باسناد حسن عند احمد : فلما اصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا اين صاحبك هذا ؟ قال لا ادري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه

وروى البزار مسندا وغيره أن الله أمر العنكبوت فنسجت على فم الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين ، عنه ويروى أنه نبت في فمه شجرة صغيرة تسمى شجرة الرا وهي شجرة مقدار القامة

« تشكك محمد حسين هيكل في الآيات الثلاث : نسيج العنكبوت والحمامتين والشجرة » جاء في الفصل العاشر من كتابه : حياة محمد « صلى الله عليه وسلم » ص ٢٠٨ ما نصه : نسيج العنكبوت والحمامتان والشجرة تلك هي المعجزة التي تقص كتب السيرة في أمر الاختفاء بغار ثور ووجه المعجزة فيها ان هذه الاشياء لم تكن موجودة حتى اذا لجأ النبيء وصاحبه الى الغار أسرعت العنكبوت الى نسيج بيتها تستر به من في الغار عن الاعين وجاءت الحمامتان فباضتا عند بابه ونمت الشجرة ولم تكن نامية وفي هذه المعجزة يقول المستشرق درمنجم :

هذه الامور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ الاسلامي الجد : نسيج عنكبوت وهوي حمامة ونبات شجرة وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في ارض الله نظائر « على ان هذه المعجزة لم ترد في سيرة ابن هشام اهـ كلام هيكل بنصه

« نقد كلامه »

ان في كلام هذا المؤلف لمجالا للنقد من وجوه

(١) قوله نسيج العنكبوت والحمامتان والشجرة تلك هي المعجزة التي تقص كتب السيرة في أمر الاختفاء بغار ثور الخ والحق ان ثم غيرها

(٢) اقراره قول در منجم في الآيات الثلاث : هي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في ارض الله نظائر » وما هي بالتي لها نظير فان اجتماعها لم نسمع بنبئه الا في قصة الهجرة ولانه قد جاء في نسيج العنكبوت ان أمية قال فيه وقد قال المشركون ندخل الغار : ما أربكم فيه « أي الغار » وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه من قبل ان يولد محمد أي لان مثله لا يكون الا مدة طويلة وروي في الشجرة أنها كانت مقدار القامة لها زهر « وهل ان المألوف ان تطول الشجرة بمقدار قامة ويكون لها زهر » في زمن قصير وليس من المألوف ان يقع الحمام على فم الغار وهو مأهول ولذا قالت قريش: لو كان فيه أحد لما كان هناك الحمام

عمارة البيت الحرام

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء
سيدي محمد بن الخوجه

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

افتتاح الكلام بهذه الآية الشريفة يغنينا عن البحث والنظر في مختلف الروايات المتعلقة بالبيت الحرام قبل زمن ابراهيم عليه السلام فالبيت الحرام وان شئت قلت الكعبة المشرفة التي يقصدها المسلمون من كل فج عميق قياما بالحج الذي هو احد اركان دين الاسلام بناها سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه كما هو صريح الآية المتقدمة وكان المساعد له على بنائها ابنه سيدنا اسماعيل عليه السلام واسماعيل هو جد الجنس العربي وهو كابيه ابراهيم من ذرية سام بن نوح . قال المحققون من ايمة الدين واقطاب الملة لما امر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام قال ابراهيم لابنه : يا اسماعيل ان الله امرني بامر . قال فاصنع ما امر ربك . قال : وتعينني ؟ قال : واعينك . قال فان الله امرني ان ابني هنا بيتا . واشار الى اكمة مرتفعة بارض حمراء واقعة هنالك . وعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يجيء بالحجارة وابراهيم يبني حتى ارتفع البناء ووضع ابراهيم الحجر الاسود بمكانه من جدار البيت وسياتي الكلام على خبر هذا الحجر الاسعد حول القرون التالية ولما تمت هذه العمارة الاولى للبيت المحرم جعل له ابراهيم بابين ملاصقين للارض احدهما يفتح للشرق والآخر في سمته يفتح للغرب وسنعود للكلام على هذا الباب الغربي الذي لا وجود له في هذا الزمان ولم يجعل ابراهيم للبيت سقفا كما لم يجعل لبابيه ابوابا تفتح وتغلق وكان هذا البيت المبارك اول بيت وضع للعبادة كما قصه علينا القرءان في ءاية : إن أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا وهدى للعلمين ـ وقد بناه ابراهيم بشكل مربع

ودر منجام هذا يلقي بذور الشك في آيات الرسول صلى الله عليه وسلم تذرعا به الى التشكيك في رسالته وله كلام كثير في نبينا لو أخذ به المؤمن لبطل إيمانه وفي كتاب الوحي المحمدي جملة منه فراجعه

(٣) ان عدم ورود هؤلاء الآيات الثلاث في سيرة ابن هشام لا يوهن أمرها وقد أثبتها غيره من رجال السير

والطريقة المرتضاة في النقد في مثل هذا تتبع الروايات من جهة أسانيدها والتعديل على ما لا علة فيه والتوقف فيما دخلته العامة لاوزنها بميزان دو منجام وردها اذ لم يروها ابن هشام في سيرته والسلام على من استمسك بعروة الاسلام وقدر قدر الرسول عليه الصلاة والسلام

محمد البشير النيفر

جعل زواياه متجهة نحو الجهات الاربع لمقاومة الرياح وهي هندسة عصرية توفق لهـا ابراهيم قبل زماننا هذا بنحو اربعة ءالاف عام. وليس في الاستطاعة ضبط ذلك بالتدقيق لان المؤرخين والحساب على خلاف فيه كخلافهم بالنسبة لزمن نزول الوحي على ابراهيم ومنهم من اعتمد في تقوله على مـا ورد في التوراة ومنها استفادوا ان الوحي نزل على ابراهيم عند دخوله لارض كنعان في حدود سنة ٢٠٥٥ قبل الميلاد وباضافة هذا العدد لما بعد الميلاد من السنين تكون الجملة ٣٩٤٤ عامـا بالحساب الشمسي ولك ان تقول ٤٠٦٢ سنة بالحساب القمري فالمدة الفاصلة بيننا وبين ابينا ابراهيم باني كعبة الاسلام وهو لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما نقدرها على وجه التقريب باربعة ءالاف عام. وقد ذكرنا فيما تقدم ان اسماعيل عليه السلام هو الذي اعان اباه على بناء البيت الحرام واسماعيل هذا هو الذي نبع تحت قدمه ماء زمزم كما في القصة المعروفة المتفق عليها بين جمهور علمـاء الاسلام فمن الواجب علينا ان نعتقد بصحتها كاعتقادنا بصحة وجود بئر زمزم وما والاها من الصفـا والمروة حيث كانت هاجر ام اسماعيل تهرول في طلب الماء لابنها العطشان حتى اذا يئست منه وعادت لاسماعيل وجدته يلم بيديه الماء المتبع من الارض. وماء زمزم لما شرب له.

هذا البيت الحرام بناه ابراهيم في زمن كان الشرك فيه باسطا جناحه على امة الكلدان منهم من كان يعبد الاوثان التي كان يصنعها لهم ءازر ابو ابراهيم كما في ءاية : وإذ قـال ابراهيم لابيه ءازر اتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ظلال مبين. ومنهم من كان يعبد النجوم وهم اهـل مذهب الصابئه قال تعلى حكاية عن ابراهيم : فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الى ءاخر الآيات الثلاث قال المقريزي ان من الصابئة من كان يزعم ان الشمس إله كل إله وقال المسعـودي في مروج الذهب ان من الصابئة من كان يعتقد ان الكعبة بيت لمعبودهم زحل وانها باقية ببقائــه على مرور الدهور وكرور العصور وعن الصابئة اخذ العرب علم النجوم ونبغوا فيه لحـد استنباط علم الانـو ء الـذي يفتخر به الاروباويون ويعدونه من العلوم العصرية واسمه عندهم علم المتيورلجيا فهو علم قديم عرفه العرب قبل اروبا بازمان. وكان الصابئة يحترمون هيكل الكعبة ويقدسونه كاحترامه وتقديسه من اهل الاديان الاخرى في ذلك الزمان وفعلا فقد اثبت التاريخ ان الكعبة كانت العرب وغيرهم من الامم يحجونها من قبل ظهور الاسلام بنحو سبعـة وعشرين قرنـا لا فرق في ذلك بين وثنيهم ويهودهم ونصاراهم يدلك عليه تكريمها في زعمهم بالاصنام والصور منها صورة مريم وابنها المسيح عليه السلام فلما جاء الاسلام امر النبي صلى الله عليه وسلم بازالة ذلك كله عند فتح مكة المشرفة في السنة الثامنة للهجرة

وما زالت الكعبة على بناء ابراهيم واسماعيل الى ان جدد بناءها العماليق ثم جرهم على ارجح الاقوال وجرهم هم اخوال بني اسماعيل ولكن ابن خلدون قال ان عمارة الكعبة على يـد العماليق متأخرة عن عمارة جرهم اياها ثم قال : واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أفق من

جميع اهل الخليقة لا من بني اسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا او نأى فقد نقل ان التابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبعا كساها الملا والوصايل وامر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا (ومنه يستفاد جعل مصاريع لابوابها في هذه العمارة) ونقل ايضا ان الفرس كانت تحج البيت العتيق وتقرب اليه وان غزالي الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم (اي جددها وهذبها والا فهي موجودة من قبل) كانا من قرابينهم اه

قلت ان ذكر هذين الغزالين يدعوني للاشارة لكنوز الكعبة المشرفة فقد كان العرب وغيرهم يتقربون اليها بالنذور والهدايا الثمينة من ذهب وحجارة كريمة قال في كتاب العبر : وقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة في الجب الذي كان بجوف الكعبة سبعين الف أوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمائتي قنطار وزنا الى ان قال واقام ذلك المال هنالك الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسعة وتسعين ومائة فاخذ ما في خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا ينتفع به نحن احق به نستعين به على حربنا واخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ اه كلام ابن خلدون

والعمارة الرابعة للكعبة المشرفة وقعت في القرن الثاني قبل الهجرة على يد قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم قال في كتاب منزل الوحي : ولم تذكر المراجع المختلفة ان احدا تولى تشييد الكعبة بعد قصي وقبل ان تبنيها قريش قبيل البعثة النبوية الا ما رواه تقي الدين الفاسي في كتاب شفاء الغرام ان عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بناها ولكنه شك في صحة هذه الرواية لما اصاب جدران الكعبة من الوهن بعد موت عبد المطلب بعشرين سنة او نحوها وعبد المطلب هذا هو القائل لتلك الكلمة الخالدة « انا رب الابل وللبيت رب يحميه » في حديثه مع ابراهة (١) الاشرم الذي جاء لهدم الكعبة عام الفيل وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عشرين من نيسان سنة ٥٧١ للميلاد . قالوا ان هذا الفيل كان اسمه محمودا (٢) وانه كلما حاولوه للتقدم نحو الكعبة للاجهاز على جدارها بنابه القوي المتين تعاصى عن ذلك وبرك في الارض واذا ساقوه نحو الجهة المعاكسة للكعبة سعى اليها مهرولا الى ان ضجر ابرهة وحزبه وعادوا من حيث أتوا وكان مصيرهم ما قصه علينا القرءان في سورة ابابيل

---

(١) لفظ ابرهة في اللغة الحبشية يقابله لفظ ابراهيم في العربية

(٢) كان بقارة ءاسيا في الزمن القديم البعيد نوع من الفيل اسمه مموت (Mammouth) انقرض جنسه ولكنه بقي له ذكر في كتب حياة الحيوان فلعل لفظ محمود الذي سمى العرب به فيل أبرهة محرف عن لفظ مموت الذي اشرنا اليه

والعمارة الخامسة للبيت الحرام قام بها قريش وشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعثه الله نورا وهدى للعالمين . قال في كتاب الجامع اللطيف للشيخ المخزومي من علماء مكة في القرن الحادي عشر : وسبب بناء قريش للبيت هو ان امراة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرتها (١) فاحترقت كسوتها وكانت ركاما بعضها فوق بعض (٢) فحصل في الاحجار تصدع ووهن ثم توالت السيول بعد ذلك فجاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزعت لذلك قريش فزعا شديدا وهابوا هدمها وخافوا ان مسوها ينزل عليهم العذاب فبينما هم على تلك الحال يتشاورون اذ اقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانت بمحل يقال له الشعيبة وهو يومئذ ساحل مكة قبل جدة إنكسرت ثم قال وبلغ ذلك قريشا فقصدوها واشتروا خشبها واذنوا لاهلها ان يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من المتاع حتى ان لا يعشروهم(٣) وكانوا قبل ذلك يعشرون من دخلها من تجار الروم وكان الروم ايضا تعشر قريشا اذا دخلوا بلادهم وكان في السفينة نجار بناء (Architecte) اسمه باقوم وهو الذي بنا الكعبة لقريش كما روي عن سفيان بن عيينه اه . كلام المخزومي . وقال ياقوت في معجم البلدان : وكان بمكة رجل قبطي نجار فسوى لهم ذلك وبنوها . وفي ابن خلدون ما يؤيد حكاية انكسار السفينة بجده حيث قال : وانكسرت سفينة بساحل جده فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة فقصروا عن قواعده وتركوا منه ستة اذرع وشبرا اداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية اه . كلام ابن خلدون

واتفق المؤرخون على كون قريش لما انتهوا لوضع الحجر الاسود اختصموا واراد كل قوم منهم ان يمتاز على البقية بمفخرة وضعه في محله وتفاقم الامر بينهم حتى تواعدوا للقتال ثم تحاجزوا وتناصفوا على ان يجعلوا اول طالع يطلع من باب المسجد حكما يقضي بينهم فكان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتكموا اليه فقال : هلموا ثوبا فاوتي به فوضع الحجر فيه ثم قال لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوا حتى اذا رفعوه الى موضعه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحجر بيده

---

(١) المجمرة هي التي تسمى مبخرة في اصطلاح اهل تونس وتستعمل لاحراق طوابع العنبر والعود القماري ولفظ قماري نسبة لجزر القمر بالمحيط الهندي

(٢) قوله ركاما يفهم منه انهم كانوا يضعون الاكسية الجديدة فوق الاكسية القديمة خلافا لما جرى به عمل هذا الزمان من نزع ستور الكعبة القديمة في وقفة كل عام وتوزيع بعض قطع منها على وجه الهدية وبيع البقية لفائدة سدنة البيت

(٣) اعرف مصداق قولهم شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ

الكريمة فوضعه بالركن الذي كان فيه وبسبب هذا التدبير السديد والسياسة الرشيدة كفاهم رسول الله شر فتنة وقتال

ثم جاء الاسلام وبعث الله محمدا للخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فحج بالناس وطاف بالبيت العتيق بعد ان رد مفاتيح الكعبة لسدنتها من آل شيبة حيث دفعها لعثمان بن طلحة عند نزول الآية : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها » (١) والتحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وبقيت مفاتيح الكعبة بيد سدنتها الشيبيين حتى هذا الزمان يتوارثونها خلفا عن سلف

وكانت العمارة السادسة للبيت الحرام عند ولاية عبد الله بن الزبير اميرا لمكة فسير اليزيد بن معاوية عساكره بقيادة الحصين بن نمير لقتال ابن الزبير بمكة فالتجأ ابن الزبير الى المسجد الحرام فرماه الحصين بالمنجنيقات فاصابت بعض مقذوفاتها الكعبة المشرفة فهدمتها واحرقت كسوتها مع بعض اخشابها ثم هلك اليزيد فراى عبد الله بن الزبير تجديد عمارة الكعبة على قواعد ابراهيم يعني بضم حجر اسماعيل لبناء البيت كما كان في زمن ابراهيم مستندا في ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة : لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له بابين شرقا وغربا . قال ولي الدين بن خلدون : فكشف ابن الزبير عن اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه ثم سال عن مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم - اي بادخال حجر اسماعيل في البيت - ورفع جدران الكعبة سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض كما ورد في الصحيح وفرشها وازرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ثم طيبها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا وكساها بالديباج وكان انتهاؤه من هذه العمارة في رجب سنة ٦٤ للهجرة . فلما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سير الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال ابن الزبير امير مكة فحاصره بها ورماه بالمنجنيق الى ان استشهد رضي الله عنه في سنة ٧٣ ودخل الحجاج مكة فولاه عليها عبد الملك وامره ان يعيد بناء الكعبة كما بنتها قريش - اي كما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فهدم الحجاج ما اضافه ابن الزبير من حجر اسماعيل للكعبة وقدره ستة اذرع وشبر وسد بابها الغربي ورفع الباب الشرقي يصعد اليه بدرج - كما في هذا الزمان - ولم يغير من باقيها شيئا ثم كبس ارضها بالحجارة التي فصلت عنها اه .

---

(١) لما دفع رسول الله مفاتيح الكعبة لعثمان بن طلحة قال له : خذها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم . يا عثمان ان الله أستأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف اه . قال الشيخ محمد قويسم : علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس تهادي بني شيبة لذلك قال لهم كلوا وعلى قياسه الفتوحات لصاحب الزاوية فانه ياكل منها اذا كان بالمعروف اه . من سمط اللال

المجلة : هذا قياس مع عدم وجود العلة في الفرع فهو قياس مع وجد الفارق كالفرق بين المسجد والزاوية .

فهذه العمارة السابعة لم تتناول البيت الحرام كله بل جداره الشمالي الواقع بحجر اسماعيل وبه قبره وقبر امه هاجر على اشهر الاقوال ـ وقد اختلف المسلمون من بعد : افيتركون الكعبة كما بناها الحجاج ام يعيدونها الى بناء ابن الزبير استنادا الى حديث عائشة ام المؤمنين حتى اذا تولى الخلافة هارون الرشيد سال مالكا في هدم الكعبة وردها الى قواعد ابراهيم فقال مالك : يا امير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء احد ان يهدمها الا هدمها فتركها الرشيد كما هي عليه وبقيت هكذا محاطة بالاجلال والتعظيم من عامة المسلمين الى ان ابتلى الله الحرم الامين بعادية ابي طاهر القرمطي في وقفة عام ٣١٧ حيث اقتلع بضلاله وطغيانه الحجر الاسود من موقعه واخذه عنده طمعا في تحويل وجهة الناس عن الكعبة الى بلده الذي سماه دار البحر . وعمل سيفه في رقاب الحجيج الى ان هلك نحو ثلاثين الفا من الطائفين والعاكفين والركع السجود . ثم اعيد الحجر لمكانه بعد عشرين سنة ولكنه كان مهشما بسبب ما ناله من ضرب الدبوس حين القلع فمتنوة بسيور من الفضة ما زالت محدقة به لهذا اليوم واتفق في سنة ٤١٤ لرجل زنديق ان تقدم يوم النفير الاول نحو الحجر الاسود كانه يريد تقبيله فلما بلغه ضربه بدبوس ضربا عنيفا وقال الى متى يعبد هذا الحجر الاسود فهجم عليه العامة وقتلوه جزاء وفاقا ـ ودام البيت الحرام بعد هذه الحادثة على حالة كماله واستقامة شؤنه واحواله لا يزيد المسلمون على ان يشدوا من بنائه غير ما يعتريه الوهن كما وقع في المائة السابعة ثم في زمن السلطان سليمان خان الاول حيث جدد سقف البيت لتداعيه بفتوى من شيخ الاسلام ابي السعود في سنة ٩٥٩ ثم اعيد تجديد بعضه مرة اخرى في سنة ١٠٢١ على عهد السلطان احمد خان الاول ولما كانت سنة ١٠٤٠ هطل بمكة مطر عظيم دام يومين كاملين ودخل السيل للكعبة فوهن بناؤها الذي انقضت عليه نحو العشرة قرون وسقط بعض جدرانها هنالك انزعج الناس وزلزلوا زلزالا شديدا وتشاوروا في امر الكعبة وما يصنعون بها وانعقد الاجماع على المبادرة بعمارتها وترامى نبأ الكعبة وما اصابها الى ءافاق الاسلام فشدوا اليها الرحال وكان في مقدمة الساعين لعمارتها الامير محمد باشا الالباني والي مصر فاوفد اليها المهندسين والمعلمين وباشر الجميع تجديد عمارتها على الوجه الاتم الاشمل فكانت هذه العمارة هي الثامنة والاخيرة وما حدث بعدها كان من قبيل الاصلاح المجرد كالذي اجرته والدة السلطان مصطفى خان الثاني سنة ١١٠٩ كما يستفاد ذلك من عبارة ابيات منقوشة على باب التوبة بالحرم الامين وهذا ءاخر اصلاح حفظ ذكره التاريخ

ومن توابع البيت الحرام ميزاب الرحمة وهو من عمل الحجاج جعله من نحاس فعوضه السلطان سليمان خان بآخر من الفضة الموشاة بالمينا الزرقاء تتخللها نقوش ذهبية وفي سنة ١٢٧٣ ارسل السلطان عبد المجيد خان للكعبة المشرفة ميزابا من الذهب وهو الموجود بها الآن واخذ الميزاب القديم لحفظه بدار الآثار المباركة بالاستانة

بقي علي الامام بحديث كسوة الكعبه فقد اثبت التاريخ انها كانت مكسوة قبل الاسلام وقد تقدمت الاشارة لذلك فيما اسلفنا كما ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كساها الثياب اليمانية وبه اقتدى الخلفاء الراشدون فكسوها بالقباطي وعلى قياسهم جرى عمل بني امية حتى اذا ءالت الخلافة لعبد الله المامون كساها الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض في السابع والعشرين من رمضان والمامون هو الذي جعل كسوها فرضا كل عام اللهم اجزل ثوابه . ولما كان زمن الناصر العباسي كساها السواد من الحرير وظلت كذلك الى هذا اليوم بيد ان الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون وقف على كسوة الكعبة ثلاث قرى بالقليوبية من اعمال مصر وهذه الاوقاف عززها السلطان سليمان خان بمثلها في مديرية الشرقية بمصر ولا تزال هذه الكسوة المباركة تصنع في مصر حتى اليوم وترسل الى مكة المشرفة في المحمل المعروف ولم تتخلف هذه العادة المحمودة الا بضعة سنين في الازمنه القريبة لدواعي استثنائية اثارها خلاف سياسي بين حكومتي مصر والحجاز وبفضل الله وبركة نبيه المختار وحرمة البيت الحرام حصل التفاهم والتقارب بين الجانبين بعد ذلك فعادت المياه لمجاريها في سنة ١٣٥٥ ولقد نشرت الجرائد في السنة بعدها صورة ميزانية الحكومة المصرية فاذا بها مبلغ ست ءالاف جنيه مصرية لصنع كسوة الكعبة المشرفة وهذا المبلغ يتجاوز المليون ونصف مليون بحساب عملة الفرنك التونسيه . والكسوة المتحدث عنها عبارة عن ثمانية استار سود من نسيج الابريسم المختلط بالحرير موشاة بكلمة التوحيد مع حزام موشى بالذهب يجعلونه فوقها محيطا بالبيت وستار خاص بباب الكعبة وءاخر خاص بمقام ابراهيم ومن دخله كان ءامنا ونختم هذه النبذة التاريخية بكلمة عبد المطلب : ان للبيت ربا يحميه .

محمد بن الخوجة.

التاريخ المدرسي

اتصلنا من الالمعي النجيب الشيخ محمد الصادق عمار المحرز على شهادة الاهلية بجامع الزيتونة بكتابه (التاريخ المدرسي) الذي الفه لتلامذة المدارس فالفيناه جزءا قد اشتمل على تاريخ صدر الاسلام افتتحه بمقدمات تضمنت الكلام على خلاصة من تاريخ العرب القديم . وسلك فيه طريقة حسنة في تلخيص الحوادث مع التمرينات المفيدة للتلامذة وخلاصات حسنة الجمع . وقد حلاه بامثلة متعددة تعين على الضبط . باسلوب سهل التناول يستفيد منه المطالع ايما فائدة مع الاختصار المحمود ونحن نثني على همة مؤلفه الذي علمنا منه الطموح للمعالي ونعلم انه سيلاقي تالفيه هذا كل تشجيع وتقدير

تهلل بالبشرى جبين هلاله

من نظم الشاعر الكبير شيخ
الادباء الشيخ العربي الكبادي

هو العام لاحت للعيون بشائره ... وطابت مجانيه وفاحت أزاهره
تهلل بالبشرى جبين هلاله ... فما أحد الا تملاه ناظره
أتى وغواني الانس حول ركابه ... فيا حبذا أسماؤه وتماضره
يقول لسان الحال منه لخائف ... تقلص ظل كنت قبل تحاذره
ولست كعام قد مضى في سبيله ... وبانت لاهل الخافقين مناكره
ولكنني وافيتكم أحمل الهنا ... وعيشا سعيدا يشكر الله شاكره
وأمنا على الارواح من كل حادث ... به الطرف رعبا تستهل محاجره
بفضل تدابير الذين عليهم ... لقد عقدت من ذا الزمان خناصره
فقد أبعدوا ما افزع الناس نزله ... برأي حصيف يبقر الشر باقره
فثب يا أخا الادراك للانس وامتدح ... مليكا تجلت في الزمان مفاخره
علا قدره فوق النجوم شهامة ... وقد أدهشت لب اللبيب مئاثره
فلا شر إلا وهو طاويه رأفة ... ولا خير إلا وهو للناس ناشره
وكم من بيوت للصلاة تشيدت ... بتشييده والدين أثلج خاطره
وكل كسير قد أهيض جناحه ... فإحسانه عند الشدائد جابره
يرى واجب الاملاك أن يحرسوا الحمى ... لذلك يقضي ليله وهو ساهره
يدبر أمر الملك حتى إذا بدا ... له صالح يرضاه قام يبادره
مخافة فوت او لتعجيل نعمة ... ترقبها ذو حاجة لا تغادره
فيا من به تاهت أريكة تونس ... وقد بادرتها بالجميل بوادره
أعدت بأعوام حكمت بحكمة ... إلى أهل هذا القطر ما الصدق ذاكره
فمرت كأيام ولم يشعروا بها ... كطيف خيال مر بالطرف عابره
وإن زمانا أنت بحر سماحه ... موارده محمودة ومصادره

القت هذه القصيدة الغراء على مسامع الحضرة العلية دام عزها وعلاها في موكب راس العام الهجري المنعقد بقصر حمام الانف العامر يوم الثلاثاء غرة المحرم سنة ١٣٥٨ جعله الله عام يمن واسعاد على الجالس على العرش الحسيني الرفيع العماد . وعلى كافة المسلمين

فعشرة أعـوام لتتويجك انقضت بهـا وصلت من كل مجد أواصـره
لذا طلب الاقوام أضعاف ضعفهـا إلى ملـك جلت وطابت سرائـره
تسابق أهل الشعر للمـدح والدعـا وما قصرت في ذا السبيل شواعره
وقد يمموا المذياع كي يبلغ الصدى إلى كل صقع يطلب الخبر ساهـره
ولست أبـالي أن أقـول بـأنهم يـودون من قلب لكم سار سائره
بأنـك ملك آمـر في ديـارهم تقـودهم نحو الهدى وتنـاصره
فأنت الذي صورت للناس صورة من المجـد أحيتـه لمن هو بـاصره
وأنت الذي أحييت للقطـر مجـده فلم يبق في الاقطار قطر يفـاخره
تجلت به تلـك الشمائل فـانجلت فضائلـه الغـرا وراقت منـاظره
ومن عدلكم بين الرعية في القضا بواطنه طابت وطـابت ظـواهره
فزارته من كل الطـوائـف زمرة ومن زين بالعرفان يكثر زائره
ليقتبسوا من نوره الساطع الضيـا معـارف جاءت للزمانـ تسايره
فمن شكروا كان الثناء جزاءهم ومن كفروا فالفضل ينميه كافره
ففي الغرب قوم يلهجون بذكره وفي الشرق بالاعظام قد طار طائره
وما ذاك إلا من سمـاح مملـك تعـالت معـاليه وطابت عنـاصره
فلا قـول إلا مـا بـه فـاه ناطقـا ولا شعـر إلا ما به فـاه شاعـره
أأحمد هذا العـام وافـاك مقبـلا تـزف لـكـم بـالطيبات بشائره
فقد نلت ما لا يدرك العقـل كنهه وسيقت لكم من كل خير نوادره
ولو كانت الاشجار أقـلام كاتب وكانت بحار الارض طـرا محابره
وما أنبتت هـذي البسيطة كلها مهـارقه مصفوفـة ودفـاتره
وحاول إحصاء الـذي قد وهبتـه من الله اعيـاه من الفضـل بـاهره
تجاوزت قدر المدح فخرا وسؤددا ولو أنـه عـذب المقـال وزاخره
رزقنا بفضل الحب فيكم سعادة فكيف بمن تختاره وتعـاشره
أقر لكم بـالفضل كل موفـق وأكبر كم من باهر المجد كابره
قدمتم لعـرش الملك بدرا بـأفقه ومن رامه بالكيـد جدك قـاهره
ويهنيـك عـام سوف تطويه سالمـا ومستقبـلا من مثلـه ما يـؤازره
إلى غاية الازمانـ في حلة العلا تصاحبـكم من كل لطف عشائره
فقد أخبـر الاسعـاد عنـه بـأنه أوائلـه محمـودة وأواخـره

المدينة دار الهجرة

المدينة المنورة احدى ولايات الحجاز من العصر القديم وعاصمة المملكة الاسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر أبي بكر وعمر واول خلافة علي رضي الله عنهم وهي في شمالي مكة تبعد عنها بنحو ٥٠٠ ميلا

ولها اسماء متعددة بلغت حد الكثرة اوصلها بعضهم الى نيف وتسعين اسما اشهرها قبل الهجرة يثرب كما حكاه القرءان عنهم في آية ! واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا

وأشهرها بعد الهجرة الشريفة ـ المدينة . وبذلك جاء في قوله تعالى : يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل

وقال الامام النووي لا يعرف في البلاد أكثر اسما منها ومن مكة . عمرها العرب من العهد القديم وربما لا نكون مصيبين اذا حاولنا ان نثبت تاريخ عمارتها بالضبط . وغاية ما يمكن البحث فيه هو معرفة القبائل التي أقامت فيها وتداولت عليها في مختلف العصور القديمة والحوادث التي حدثت فيها ومنه يمكن لنا ان ندرك على ضوء تلك الحوادث بعض الشيء عن تاريخها

يذكر النسابون من العرب أن نسب العرب عموما ينتهي الى سام وهو أحد أولاد نوح عليه السلام الذين نجوا معه من الطوفان . ومنه انحدروا الى أجيال وطبقات . ومن الجيل الاول بعد الطوفان عاد وثمود وطسم وجديث . وهذا الجيل انطمست آثاره وعميت اخباره الا النزر القليل الذي لا نتمكن به للوصول الى حقيقة تاريخية صحيحة عن حياة تلك الشعوب البائدة سوى ما قصه علينا القرءان من أمرها مما قصده القرءان من القصص مما دلنا على انهم قد كانت لهم حضارة ومدنية فعمروا المدن وسكنوا القصور واسسوا المصانع . وعاشوا عيشة الترف مما اشار اليه القرءان في آية إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . وآية : أتبنون بكل ربع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين ونحو ذلك من الآيات .

وأما ما يذكره اصحاب التواريخ فللبحث فيه مجال وهو مع ذلك محاط بالغموض والاضطراب ولسنا الآن في مقام نقده وتمحيص الصحيح منه .

وأما الجيل الثاني فيشمل من أتى بعدهم ممن قرب من نسبهم كحمير وكهلان وأشعر وعمرو وعاملة وجرهم والعمالقة

ومن هذا الجيل تنفتح لنا صحيفة من تاريخ العرب القدماء وان كانت لا تشفي غليلا لكنها تمكننا من الوصول الى بعض حقائق فيما نروم الوصول اليه من تاريخ المدينة

فالمؤرخون كادوا يتفقون على أن جرهم والعمالقة من السلالات العربية كانت منازلهم بأرض الحجاز .(١) واتصلت جرهم بأم إسماعيل عليه السلام وأقامت حولها منازلها لما تفجرت زمزم ثم استحكم الاتصال بعد المصاهرة وتزوج اسماعيل امرأة من جرهم (٢) ثم بالتالي بناء إبراهيم الكعبة وأذانه في الناس بالحج اليها . فأصبح الحرم وجواره منازل اسماعيل وأصهار اسماعيل وكانوا يقيمون بأعلى مكة . وقد جاورهم العمالقة من بعد وأقاموا منازلهم بأسفلها . وكانت ولاية مكة بيد جرهم لمصاهرتهم وقرابتهم من مؤسس الحرم

وقد حدثت بين جرهم والعمالقة حوادث وحروب انتهت بانجلاء العمالقة وخروجهم من الحرم فذهب قوم نحو أرض الشام ومنها الى مصر . ونزل قوم بمكان مدينة يثرب فاقاموا هنالك منازلهم . وقد ذكر ابن خلدون وغيره ان مؤسس المدينة (يثرب بن مهلائل) من العمالقة ثم غزاهم بنوا اسرائيل وانتزعوا ما كان تحت يد العمالقة من البلاد كيثرب وخيبر واختلطت انسابهم ببقايا العماليق ومن يومئذ دخلت اليهودية الحجاز ومن أعقابهم بنو النضير وبنو قينقاع

وقد زاحمهم في ارض يثرب قوم من الازد القحطانيين نزحوا من أرض اليمن مع من خرج منها ومنهم تفرعت قبيلتا الاوس والخزرج فهما من أصل قحطاني يمني . ولم يتجاسروا في أول امرهم على الاقامة داخل المدينة . ولما اشتد ساعدهم وطاب لهم المقام أنفوا حياة المزارع كما سئموا من طغيان السكان الاصليين عليهم فحدثت بينهم حروب كانت بيهم سجالا واضطروهم لان يفسحوا لهم المجال ليسكنوا معهم كما اضطر اليهود العماليق من قبل ان ينزلوا في ديارهم . والملك دائما لذي الشوكة منهما حتى سادت الاوس والخزرج عليهم .

وهذا الرواية التي جمعناها تشير الى ان تأسيس المدينة كان من الجيل الثاني من العماليق على الخصوص . وهنالك رواية تشير الى أن العماليق حافظوا على اتصالهم بالجيل الاول وأن شاعرهم يتغنى بمجد يثرب وأنها من أقدم بلاد العرب عمارة بل هم نزلوا بها قبل تاريخ عاد وتبع . وينقل الروايات عنه قوله

فلو نطقت يوما قباء لخبرت ... بانا نزلنا قبل عاد وتبع

وآطا منا عالية مشمخرة ... تلوح فتنعي من يعادي ويمنع

والذي نستخلصه بعد أن أهل المدينة عند الهجرة لم يكونوا من ولد اسماعيل وانما هم يرجعون

---

(١) وقد قطن العمالقة أولا بتهامة ثم تفرقوا ونزل حي منهم بأرض الحجاز

(٢) يذكر غير واحد من المؤرخين أن اسماعيل تزوج من دعلة بنت مضاض سيد جرهم

الى أصلين أحدهما عربي قح من أصل قحطاني وهم الاوس والخزرج (١) كانوا في جاهلية وكان نزوحهم من اليمن والاصل الآخر اختلطت فيه الانساب من العرب والاسرائليين فتولد عنه فرع عربي يدين باليهودية . ثم يبقى لنا التحير بعد ذلك من جراء اختلاف الروايات المتقدمة فلو صحت رواية البيتين تكون المدينة قد خطت قبل مكة . فهي صريحة بان عمارتها كانت قبل نزول عاد (٢)

واما الرواية الاولى فانها تقول ان العمالقة (٣) عمروا يثرب بعد اجلائهم من أرض مكة التي كانوا يقيمون بها . ومن هنا جاء التعارض وتعسر التوفيق .

يبقى النظر في تاريخ نزوح الاوس والخزرج اليها ذكر ابن هشام في السيرة أن عمرو بن عامر جد الاوس والخزرج - خرج من اليمن قبل سيل العرم . فيحدث عن أبي زيد الانصاري أن عمرا رأى جرذا يحفر في سد مأرب . فأدرك أنه لا بقاء للسد فتشاءم شرا واعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه ان يقوم اليه ابنه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به أبوه فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي . وعرض أمواله - أي للبيع - فقال أشراف من اشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله . وانتقل في ولده وولد ولده . الى ان قال ابن هشام في روايته ونزلت الاوس والخزرج يثرب

ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : لقد كان لكم في سبإ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - والعرم السد وواحدته عرمة - وانشدوا لاعشى ميمون من قصيدة قال فيها :

وفي ذلك للمؤتسي أسوة	ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير	إذا جاء مواره لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها	على سعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا أيادي ما يقدرو	ن منه على شرب طفل فطم

فهذه القصة تفيدنا أن أصل الاوس والخزرج نزحوا من اليمن قبل سيل العرم غير أنها لا تثبت لنا انهم نزلوا يثرب قبل سيل العرم لان عمرا وبنيه قصدوا بلد (عك) ونزلوا بها وجرت

(١) قبيلتان سميتا باسمي جديهما الاوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سباء . اهـ من المعارف لابن قتيبة . وامهما قيلة (٢) وهم من الجيل الاول (٣) وهم من الجيل الثاني

حروب ثم ارتحلوا عنها ونزلوا بالمدينة، ومنها جاء الغموض في تاريخ نزول الاوس والخزرج المدينة ايضا.

هذا وأن الاوس والخزرج لما ستقر بايدبهم أمر المدينة وما حولها دخل بينهم التنافس وحدثت بينهم حروب اشهرها حرب بغاث التي دامت ردحا من الزمن زادت في تشتت كلمتهم الى أن ظهر رسول الله بمكة ودعى للاسلام نفرا منهم وفدوا للحج سنة ثلاث قبل الهجرة وتمت بيعة العقبة الاولى ووعدوه خيرا قائلين لعل الله يجمع بك كلمتهم وقد تم ذلك وعقبتها الثانية في السنة التي تليها والثالثة قبل الهجرة بشهر وبضعة ايام وهي البيعة الكبرى التي عقبها الاذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة فهاجر اليها باليمن والبركة

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض المدينة واستقبله أهلها عرج بهم الى قباء ونزل في بني عمرو بن عوف وأسس مسجد قباء وصلى فيه الجمعة، وقد أختلفت اراء العلماء في مشروعية الجمعة أ كانت قبل الهجرة أم بعدها واستدل من يقول بالثاني بانه لم ينقل أن النبي صلاها في مكة ولا ان المهاجرين من أصحابه الى الحبشة صلوها هناك مع توفر الدواعي على النقل وقد نقلوا لنا صلاته بقباء واستدل من يقول بالاول ان آيتها مكية. ومسجد قباء هو أول مسجد أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم وليس هو أول مسجد أسس في الاسلام على الاطلاق بل سبقه المسجد الذي أقامه ابو بكر في فناء داره لما منعته قريش من الجهر بصلاته في الكعبة ودخل في جوار ابن الدغنة

ثم بعث صلى الله عليه وسلم الى أخواله من بني النجار فحضروا عنده بقباء واعلمهم بدخوله الى المدينة وسار على ناقته وأبو بكر ردفه وبنو النجار حوله متقلدين سيوفهم يترنمون بالاناشيد حتى دخل المدينة فلقيه أهلها بكل فرح وابتهاج وكلما مر على حي من أحياء المدينة عرض عليه أهل الحي أن ينزل عندهم ويلحون في الطلب ويمسكون زمام الناقة فيخاطبهم صلى الله عليه وسلم في رفق (دعوها فانها مأذونة) حتى بلغ الى حي بني النجار فبركت في مربد (١) تمر تجاه دار أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه فقال رسول الله (هذا ان شاء الله المنزل، اللهم انزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين) ودخل دار ابي أيوب وطاب له المقام، وتجلت مظاهر رأفته صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين حين عرض عليه أبو أيوب أن يصعد الطاق العلوي ويتخذه منزلا له فاعتذر بحصول المشقة على اشياخ المسلمين الذين يفدون لزيارته، وذلك مصداق قوله تعالى : بالمؤمنين رؤوف رحيم.

ثم سأل صلى الله عليه وسلم عن مبرك الناقة ولمن هو فأعلموه انه لسهل وسهيل اليتيمين من ذوي قرابته فارسل في طلبهما وساومهما فيه فقال الغلامان بل نهبه لك يا رسول الله فأصر صلى الله عليه وسلم على رأيه الاول حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير - كما جاء في بعض الروايات - ثم أعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه بعزمه على بنائه المسجد النبوي

(١) المربد المكان الذي يجفف فيه التمر

المسجد النبوي

أسرع المهاجرون والانصار لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا وينقلون الحجارة واللبن وساهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في نقل الحجارة واللبن معهم . وذلك شانه صلى الله عليه وسلم يتقدمهم في كل أمر فيه إقامة صرح الاسلام

وأقاموا أساسه من الحجارة وبنوا جدرانه باللبن وجعلت عمده من جذوع النخل وسقفه من الجريد واتخذوا له ثلاثة أبواب ورحبة فسيحة ولم يتخذ له محراب وانما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلته اولا الى بيت المقدس وصلى الى هذه القبلة سبعة عشر شهرا، ثم تحول مستقبلا المسجد الحرام لما نزل عليه قوله تعالى : قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام. وكان مفتتح أحد أبوابه الى الجهة الجنوبية، وقد سد بعد تحويل القبلة وفتح بدله باب يقابله في الجهة الشمالية وبقي حائط القبلة الاولى مكانا لاهل الصفة.

مساحة الحرم في عهد النبي

يروى لنا ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار عن خارجة بن زياد احد فقهاء المدينة السبعة انه قال ، بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين ذراعا في ستين ذراعا او ازيد . فلما كان عثمان زاد فيه . جعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين . وجعل ابوابه ستة كما كانت في زمن عمر . وامتدت الزيادة الى ان دخلت بيوت امهات المؤمنين فيه . ومنها حجرة عائشة وهي التي دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه رضي الله عنهما فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي اليه العوام، ويؤدي الى المحذور الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من اتخاذ المساجد على القبور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين . حرفوهما حتى التقيا . كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر الشريف . ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها « ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي ان يتخذ مسجدا » . اه

ولم تكن بالمسجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مئذنة ولا في عهد الخلفاء بعده وانما كان يؤذن على اسطوانة بدار عبد الله بن عمر . وكان بلال رضي الله عنه يرتقي اليها على سبعة اقتاب (١)

تجديد عمارة المسجد وما دخله من الزيادات

أول ما احدث في المسجد الزيادة التي زادها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من فتح خيبر وذلك في مفتتح سنة سبع من الهجرة وكانت الزيادة من الجهات الثلاث الشرق والغرب والشمال فاصبح مربعا طول ضلعه مائة ذراع بعد ان كان مستطيلا طوله سبعون ذراعا وعرضه ستون

(١) القتب الاكف على قدر سنام بعير

وثاني عمارة حدثت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فزاد فيه من الجهة الجنوبية نحو عشرة أذرع ومن الجهة الغربية عشرين ذراعا ومن الشمالية عشرة أذرع . ودخلت في هذه الزيادة دار العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم

وزاد في ابوابه فصارت ستة بعد أن كانت ثلاثة بابين في الجهة الشرقية ومثلهما في الجهة الغربية ومثل ذلك من الجهة الشمالية . وكانت هذه العمارة من نحو سابقتها في البناء والسقوف والعمد

وثالث عمارة كانت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فزاد فيه من الجهات الاربع فشملت هذه الزيادة الجهة القبلية وتغير بذلك جدار القبلة

واستقر الامر على هذه الزيادة التي من جهة القبلة فلم يطرأ عليها تغيير بعد ذلك وجعل عمده من الحجارة التي ادخل فيها عمدا من الحديد المسلح بالرصاص وجعل سقفه من ساج . وجعل ابوابه ستة كما هي بعد عمارة عمر .

واتخذ عثمان مقصورة صغيرة على مصلاه في المسجد من لبن وفي حائطها كوة ينظر الناس منها الى الامام وجعل ارضها مرتفعة عن سطح المسجد نحو ذراعين

روي البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابوبكر شيئا . وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد . واعاد عمده خشبا . ثم غيره عثمان . فزاد فيه زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج .

ورابع عمارة كانت في عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الرابع الاموي أشرف عليها عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز ودامت عمارة المسجد من سنة ٨٨ هـ. الى سنة ٩١ هـ. فزاد من جهاته الثلاث الشمالية والشرقية والغربية وأدخل في المسجد حجر أمهات المؤمنين التي كانت في جنوبي المسجد وشماليه واقتطع جزءا من حجرة عائشة رضي الله عنها أدخل في المسجد ايضا من جهة الروضة الشريفة

وأقام بناء على الحجرة الشريفة وجعل بناءه مخمسا ليغاير شكل الكعبة الشريفة.

وأقام جدرانه بالحجارة واتخذ لـه أعمدة من الحجارة المسلحة بالحديد والرصاص . وزخرف حيطانه بالفسيفساء والمرمر واتخذ سقفه من لوح الساج وحلاه بالذهب الوهاج كما نقشت اطراف أساطينه المشدود عليها السقف بالذهب أيضا . وأحدث له أربعة مآذن في زواياه الاربعة ثم هدمت احداها وبقي ثلاثة فجاءت هذه العمارة آية في الفن المعماري . بيد أنها أخرجت المسجد عن بساطته التي كان عليها من عهد تاسيسه . وذلك تابع للعصر الذي عليه الناس في حياتهم فتلك مظاهرهم التي ما كانوا يعنون بها مثل عنايتهم باقامة هيكل الاسلام وهذه مظاهر تمت بعد أن تفتحت أمام المسلمين زخارف

الحياة الدنيا. واذا كان المرء يرى في حياته الخاصة ومنزله وسائر عمارات بلده انها بلغت شأوا عظيما في الزخرف والتنميق يعيب على نفسه اذا كان معبده الذي هو أعز شيء عنده لم تشمله يد العناية وهذه قضية عامة في سائر العصور وعلى اختلاف الامم وسنة متبعة لا يأتيها التبديل ما دام الانسان انسانا وقد أصبح أهل الآثار يستدلون على حضارة الامة برسوم عماراتها فنظر الناس الى الحياة يختلف وبحسب هذا الاختلاف في الانظار يأتي الاختلاف في النظريات. ومن هنا نعلم كيف سكت عمر بعد أن أنكر على معاوية ما ألفاه عليه من العظمة الملكية لما أجابه معاوية بذلك الجواب الذي لا يصدر الا من مثل معاوية القائد العظيم والسياسي المحنك : إننا في أرض عهد فيها الناس مثل هذه الحياة . ولا تستقيم دولة اذا لم تكن لها مثل هذه المظاهر . فأدرك الخليفة ما يشير اليه معاوية . وتحرى رضي الله عنه كعادته في جوابه قائلا : لا آمرك ولا أنهاك. ومن هنا نعلم كيف فهم الخليفة وعامله الاسلام. وبعد انظارهم في الحياة العامة والى أي مدى يلزم أن يرمي المسلمون في تكوين حياتهم الخاصة والعامة

أما من لا يمعن النظر فيذكر قصة ابان بن عثمان مع خليفة المسلمين الوليد الاموي . لما حضر الى المدينة عام تمام عمارة المسجد فدخل المسجد وأعجب به وأخذ ينظر الى جدرانه وسقفه ونقوشه وجميل شكله حتى اذا ما أتم النظر التفت الى ابان بن عثمان وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟

فقال إبان : بنيناه بناء المساجد . وبنيتموه بناء الكنائس .

فهذا الجواب نتناوله من أوجه متعددة . أولا هو جواب واعظ علم من حال مخاطبه أن نفسه ربما دخلها شيء يلزم أن تذكر حتى تتطهر منه

ثانيا أن هذا التطاول أمر لا يقره الاسلام فجاء الجواب على أبلغ اسلوب في الرد

ثالثا ان المقام المحمود الذي يغبط عليه المرء اذا كان عمله منزها من الرياء والتفاخر والا أصبح المباح محذورا في حقه ولذا كان الجواب فيه رمز الى سوء المصير

رابعا ان إبان قايس بين النظر الذي نظره الخليفة عثمان عند ما عزم على العمارة والنظر الذي نظره هذا الخليفة . ذلك كان الباعث له على العمارة مصلحة المسلمين لما رأى ان المسجد لم يبق يسع أهل المدينة فعمره وأدخل عليه من التحسينات ما لم يكن موجودا فيه في أيامه الاولى لكن ذلك لم يغير من مقصده العظيم. وهذا كان الباعث له فيما ظهر لإبان هو التنميق والاتيان بشيء لم يأت به اصحاب الرسول . فقبح إبان صنيعه وأنه لم يبلغ مدى أحدهم او نصيفه

خامسا ان ابان ربما أنكر على الوليد مبالغته في التنميق بالذهب الذي ما جعل في رأيه ليصرف في مثل ذلك . وانه سن سنة لو اتبعت ربما تؤدي لضعف الدولة اذا لم تقدر الامور حق قدرها . وبالفعل قد وقع ذلك وبذل الذهب الوهاج في تزويق القصور عوض اقامة الحصون

أما اتقان العمارة بالاوجه التي تبلغ اليها الامة من الحضارة فلا احسب انه مما يستحق الجدال .

وان كثر فيه النزاع . ويكفي في الحجة على صحته ما قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يعبأ بمن رأى خلاف رأيه بعد ما استوثق من أهل الشورى فيما اقدم عليه

زيادات العباسيين

وخامس عمارة كانت في عهد الخليفة العباسي المهدي بدأ البناء سنة ١٦١ هـ. وكان الفراغ منه سنة ١٦٥ هـ. فزاد فيه من الجهة الشمالية فقط وجدد المقصورة من ساج ونزل بارضها حتى استوت مع سطح أرض المسجد

سادس عمارة كانت بأمر الخليفة المامون سنة ٢٠٢ هـ واتقن بناءه ونقش على رخامة جعلت على احد جدرانه (وهذا ما امر به عبد الله المامون) في كلام كثير يطول بنا اثباته. وفي سنة ٥٧٦ احدث الناصر لدين الله بصحن المسجد غرفة اقام عليها قبة لتحفظ بها الذخائر والآثار التي بالمسجد

وفي ليلة الجمعة اول رمضان من سنة ٦٥٤ هـ. ترك احد السدنة مصباحا بالمسجد موقودا فسقطت منه جذوة نار التهمت ما وقعت عليه وامتدت النار الى جميع المسجد. وقد حاول اهل المدينة اطفاء الحريق فطغى عليهم . وكان ذلك في خلافة المستعصم بالله. فامر الخليفة بترميم ما تصدع من بنيان المسجد وارسل من بغداد العمال وهي سابع عمار وقد شارك فيها الملك المظفر صاحب اليمن

عمارات المسجد في عهد ملوك مصر

ولما صار أمر الحرمين باشارة ملوك مصر كانت عمارة المسجد تابعة للدولة المصرية وفي سنة ٧٠٥ أمر الملك الناصر بن قلاوون بتجديد سقف رحبة المسجد من الجهة الشرقية والغربية ولم يمس المسجد وأحدثت له مأذنة رابعة. وفي سنة ٧٢٩ هـ. زاد هذا الملك رواقين وضمهما للرواق القبلي مما يلي صحن المسجد. وأصلح ما لحقهما من الخلل في عهد الاشرف سنة ٨٣١ وجدد في سنة ٨٥٣ سقف الروضة وبعض سقف أخرى تداعت للسقوط

وهذه الإصلاحات كلها لم تحدث تغييرا في المسجد ولذا جمعناها ولم نعدها عمارة مستقلة

وثامن عمارة كانت في سنة ٨٧٩ شملت قسما عظيما من جدر المسجد وعمده وسقفه ومأذنه وذلك باشارة ملك مصر قايتباي

وتاسع عمارة كانت سنة ٨٨٦ بأمر ملك مصر الاشرف قايتباي وشمل هذا الترميم غالب المسجد وأحدث قبة على سطح الحجرة النبوية. وزاد مأذنة خامسة وجاءت عمارته في هذه المرة على ابدع صورة في الاتقان والزخرفة

عمارات المسجد في عهد السلاطين من آل عثمان

ولما آلت الخلافة الى آل عثمان شملت عناية سلاطينهم الميامين الحرمين الشريفين فكانت عاشر عمارة هي التي قام بها السلطان سليم في سنة ٩٨٠ وأحدث قبة غربي المنبر النبوي .

وحادي عشر عمارة قام بها السلطان محمود في سنة ١٢٣٣ أقام فيها القبة الشريفة

وثاني عشر عمارة قام بها السلطان عبد المجيد بدئت في سنة ١٢٦٥ هـ . وانتهت في سنة ١٢٧٧ وقد شملت غالب المسجد وأدخلوا عليه من الزخرف الشيء الكثير حتى عدت هذه العمارة افخر عمارة في تاريخ المسجد النبوي الشريف . وكتب على جدرانه آيات من سورة الفتح واسماء الله الحسنى واسماء النبي وابيات من قصيدة البردة كانت غاية في الفن والجمال .

وبقي المسجد على هذه العمارة الى اليوم سوى بعض اصلاحات شملت المحراب الاصلي والمحرام الذي اقامه السلطان سليمان فرمما في عام ١٣٣٦ هـ كما رممت ارض المسجد في عهد الحكومة السعودية القائمة الآن بشؤون الحرمين الشريفين وذلك عام ١٣٤٧ . وفي هذه السنوات الاخيرة علمنا ان الحكومة المصرية جادة في احداث اصلاحات في هذا العهد الاخير . وقد اجملت الكلام على عمارات المسجد النبوي لان استقصاء جميع ما حدث واستحدث فيه لا يسعه مقال

افضيلة مسجد الرسول

اخرج البخاري وغيره من اصحاب السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال الامام النووي وبمقتضى هذا الحديث ينبغي للمصلي ان يعتني بالمحافظة على الصلاة فيما كان في زمانه صلى الله عليه وسلم فان الحديث انما يتناول ماكان في زمانه . لانه هو الذي حصلت الاشارة اليه وقال الامام العيني لا شك ان جميع المسجد الموجود الآن يسمى مسجده صلى الله عليه وسلم وقد اتفقت الاشارة على شيء واحد فلم تلغ التسمية فتحصل المضاعفة المذكورة في الحديث فيما زيد فيه

فانت ترى ان النووي عمل بالاشارة والعيني عمل بالتسمية كأن وجه ما ذكره النووي انه جعل الاشارة لخصوص البقعة الموجودة يومئذ فلم تدخل فيها الزيادة ولا بد في دخولها من دليل . وقد يجاب بان ذكر الاشارة ليس لتخصيص البقعة بل لدفع ان يتوهم غير المسجد المدني من بقية المساجد التي تنسب اليه صلى الله عليه وسلم والله اعلم

المنبر النبوي

اول ما خطب صلى الله عليه وسلم في المسجد لم يستند على شيء . ثم أتخذ جذعا يعتمد عليه اذا طال به المقام . ثم أتخذ له منبر من الطرفاء له درجات ثلاث فخطب عليه صلى الله عليه وسلم . وقد جاءت الروايات في كتب الصحيح ان الجذع حن الى رسول الله لما تنحى عنه حتى وضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة فسكن وقد روي انه دفن بالمسجد بين المصلى والمنبر

وخطب على منبر الرسول أبو بكر وعمر وعثمان وكساه عثمان بالثياب ثم خطب عليه علي . وفي خلافة معاوية زاد فيه مروان عامله على المدينة ست درجات من اسفله . وكان الخطباء يقفون على السابعة وهي

اولى درجات المنبر النبوي وجدده المظفر ملك اليمن لما اشتعلت النار في المسجد عام ٦٥٤ . ثم غير بمنبر ارسله الظاهر بيبرس ملك مصر عام ٦٥٦ . ثم استبدل بمنبر ارسله الظاهر بن قوقسنة ٧٩٧ ثم استبدل بمنبر ارسله المؤيد عام ٨٢٠ واحترق هذا في عام ٨٨٦ فاقام أهل المدينة منبرا مكانه من الآجر . ثم غير هذا بمنبر من الرخام بعث به قايتباي عام ٨٨٨

ولما ءالت الخلافة الى ءال عثمان أرسل السلطان مراد منبرا من الرخام عام ٩٩٨ وأمر بالاول فنقل الى مسجد قباء . ولهذا المنبر باب واثنتا عشرة درجة ثلاث منها خارج بابه وتسع داخله . وقد جاء ءاية في الابداع ليس له نظير حتى عد من اعاجيب الفن المعماري

المساحة التي كانت بين مصلى الرسول والمنبر والقبر

واذا علمنا ان مسجد الرسول لم يكن فيه محراب في عهد الرسول وانما اتخذ صلى الله عليه وسلم امام الحائط الذي من جهة القبلة مصلى له يقف فيه عند ما يؤم المسلمين . وكان في أول تاسيس المسجد جعل جذعا من النخل يعتلي عليه عند الخطبة . ثم اتخذ له منبر . وجعل المنبر في موضع يبعد على مصلاه باربعة عشر ذراعا وشبرا . ثم لما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ودفن بحجرة عائشة رضي الله عنها . صار ما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسين ذراعا وشبرا وهي الروضة

مساجد المدينة في صدر الاسلام

روى ابو داود والدارقطني من طريق بكير : ان مساجد المدينة تسعة سوى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . كلهم يصلون بأذان بلال وبهذا نعلم ان مساجد المدينة تعددت من عهده صلى الله عليه وسلم . غير انهم يجتمعون في مسجد الرسول لصلاة الجمعة . ولا تقام في غيره

بيوت النبي في المدينة

قال في مسالك الابصار عن السهيلي : كانت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تسعة بعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض . وبعضها من جريد مطين بالطين وسقف جميعها من الجريد اه

وروى الحافظ الذهبي ان اول بيت اتخذه (صلى الله عليه وسلم) في المدينة لزوجه سودة . ولما بنى بعائشة رضي الله عنها في شوال سنة اثنتين للهجرة اتخذ لها حجرة . واحسب ان بقية الحجرات بناها في اوقات مختلفة والله اعلم اه .

وروى ان بيتا سودة وعائشة كانا بجانب المسجد من الجهة الشرقية . واما بيوت بقية امهات المؤمنين فانها أقيمت في جانبي المسجد مفصولة عنه بطريق

وروى البخاري في تاريخه ان باب بيته صلى الله عليه وسلم كان يقرع بالاظافير يعني انه لم يتخذ له حلق .

ولاية عهد المملكة

لما اجاب داعي ربه المنعم المبرور رفيع الشان سيدي محمود العادل باي ولي عهد المملكة التونسية قدس الله روحه اسندت ولاية العهد الجليلة الى سمو المرفع شانه الراسخ على دعائم العز بنيانه الامير سيدي محمد الطاهر باي في موكب عظيم حضره رفعاء الشان الامراء الكرام والوزراء الفخام ورجال البلاط الملوكي حسب التقاليد الموروثة في البيت الحسيني الرفيع العماد. فتقلد الخطة الجليلة من يد سيدنا ومولانا الامير الجليل ابقاه الله كما انعم عليه برتبة امير الامراء ووشح صدره الكريم بشريط عهد الامان والمجلة ترفع على كاهل الاحترام تهانيها الى سمو ولي عهد المملكة الجليل وتدعو له بدوام العز والهناء في كنف ورعاية الحضرة العلية الشامخة دام لها العز والتاييد

ثم دخلت هذه الحجر التي كرمها الله وشرفها برسوله ونزول الوحي في عموم المسجد في زيادة الوليد فكتب لها الفضل أولا وآخرا .

فصل المدينة

ان الله تعالى لما اذن لرسوله بالهجرة من مكة استبدله حرما آمنا مكنه فيه من ارسال نور النبوية الى العالم . وقد منح سبحانه من الفضائل والمزايا مدينة الرسول بمثل ما منح جده ابراهيم في مكة فكما جعل من عهد ابراهيم مكة حرما آمنا كذلك جعل المدينة حرما آمنا اخرج البخاري في صحيحه من طرق متعددة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : المدينة حرم من كذا الى كذا

لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث . من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وفي رواية ابي هريرة قال : حرم ما بين لابتي المدينة على لساني

والاحاديث الدالة على فضل المدينة لا يسعنا الآن ذكرها فنقتصر على ما اوردنا . ونختم كلماتنا بما قال القاضي عياض في مدينة الرسول : وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل . وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر . مدارس آيات ومساجد جماعات وصلوات . ومشاعر المسلمين . ومواقف سيد المرسلين . ومتبوأ خاتم النبيئين ، حيث انفجرت النبوة . واين فاض عبابها . ومواطن مهبط الرسالة . واول أرض مس جلد المصطفى ترابها ـ ان تعظم عرصاتها ، وتتنسم نفحاتها . وتقبل ربوعها وجدرانها

محمد الشاذلي ابن القاضي

خطبة منبريـة

الهجـرة

بقلم الواعظ الشيخ الجيلاني حمزة الخطيب
بجامع مصطفى حمزة بالمهدية

الحمد لله الذي اذن لرسولـه بالهجرة من مكة المكرمة الى المدينـة المنورة دار الامن والسلام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اذن بالهجرة انتصارا لدينه واحتفاظا بالحق ان يضيع بين اعداء الدين اللئام. واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله استجاب لامر ربه فبشر وانـذر وقام بماموريته احسن قيام. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ءاله واصحابه السادة الاعلام وسلم تسليما كثيرا. ايها الاخوان يحتفل المسلمون في هذا الشهر المبارك بالهجرة المحمدية. في جميع الاقطار الاسلامية. فلا يكاد يظهر شهر الله المحرم حتى ترى الامة الاسلامية تحركت لاحياء لياليه بصنوف العبادات وعمران المساجد بالاذكار والصلوات. واكرام الفقراء واغاثة المعوزين وبذل الصدقات كل ذلك لادخال السرور على نفوس المسلمين بطلعة هذا الرسول الامين. الذي انقـذ العالم من الشرك والجور والظلم والعدوان المبين. وسلك باهله مسلك السعـادة فكان النصر حليفه وحليف المؤمنين (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) جادلوه بالباطل فاقنعهم بقوة الحق. رغبوه في زينة الحياة من ملك ومال وجمال فاعرض عن غيهم ولم يركن الى قولهم. فلما يئسوا منه عمدوا الى ايذائه ومقاطعته وقتله وكادوا يفعلون لولا ان عين الله ترمق ما يكيدون. والله يكتب ما يبيتون. (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ما كان الله ليدع نبيه صلى الله عليه وسلم فريسة لمن طغى وظلم وجار واعتدى فاوحى اليه بان يعد العدة للهجرة من مكة الى المدينة. ولا يخفاكم يا عباد الله ان هجرة النبيء صلى الله عليه وسلم وصحبه لم تكن هينة عليهم ولم يلجئهم اليها الا المحافظة على العقيدة والدين. ولولا ذلك ما كانوا من مكة مهاجرين. ولا عنها راحلين. ولغيرها متحولين. وهل من السهل على النفس يا عباد الله هجرة مسقط الرأس والرحيل عن البلد الذي درج المرء فيه ايام صغره وطابت له الحياة فيه ايام كبره الى بلد ليس له بوطن. وليس له فيه اهل ولا ختن. وهناك في طيبة غرس نور الايمان. فاثمر غرسه وتم نور الله في جميع الاكوان. وفي ليلة الهجرة نام علي في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابوبكر الصديق رضي الله عنه وله من العمر ثلاث وخمسون سنة فسارا قاصدين غار ثور وهو على خمسة اميال من مكة ولكن شبان قريش كانوا في تلك الليلة عازمين على قتل النبيء صلى الله عليه وسلم حتى انهم تسلقوا الجدار ليهبطوا الى الدار ولكن منعهم من ذلك صراخ النساء فرجعوا وتربصوا ومـا كان اشد دهشتهم حين رأوا علي بن ابي طالب يخرج من البيت واذا بـه هو النائم فسألوه اين محمد اين محمد فاجابهم بلا ادري! فكان الجواب كالصاعقة عليهم. فتناجوا ماذا يعملون وقالوا من يأت برأس محمد فله مائة من الابل. فتفرق غالبهم يبحثون عنه نحو يومين. ثم رجعوا بخفي حنين. وقد ورد ان الله القدير سخر العنكبوت فكانت تنسج على باب الغار. الذي فيه النبيء صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابوبكر الصديق ذلك البطل المغوار. والفارس الكرار. حتى انهم لما مروا على الغار يفتشون عنه قال بعضهم لبعض هذا الغار اقدم من ميلاد عيسى عليه السلام وفي ذلك يقول بعض الشعراء مفضلا العنكبوت على دود الحرير

ودود القزان نسجت حريـرا ويجمل لبسه في كل شـيء

فان العنكبوت اجل منها بمـا نسجت على غـار النبـيء

وبعد ثلاثة ايام خرجا من الغـار ووليا وجهتهما نحو المدينة المنورة وبينما هما في الطريق ظهر فارس خلفهم ، ذلك الفارس هو سراقة بن مالك فخاف ابوبكر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره الى السماء يدعو ربه ليحفظهما من الذي اتى ، فساخت اقدام الفرس وكادت الارض تبتلع سراقة وفرسه فاستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرحمه النبيء وهو الرؤف الرحيم ، وعاهده ان يعود الى مكة ويضلل المشركين ، فدعا له النبيء صلى الله عليه وسلم وبشره بانه سيكون من المسلمين

وقد حقق الله خبر النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم سراقة وحسن اسلامه وكان له شان يذكر في عهد عمر بن الخطاب امير المؤمنين وبعد مضي اثني عشر يوما ظهر نور المصطفى وبان وانتشر الخبر في كل مكان وقد وصلا الى المدينة المنورة بفضل الله ءامنين سالمين تلحظهما العناية الالهية ويتمتعان بالكرامة الربانية فخرج الرجال والنساء والاطفال لرؤية الحبيب وللدلالة على التكريم والترحيب فعم الفرح المدينة كلها وغمرها النور وحسدها جميع البلدان لانه شرف ارضها سيدنا محمد سيد الاكوان وكان النساء يرددن النشيد الذي بلغ عنان السماء

طلـع البـدر علينـا من ثنيـات الـوداع
وجب الشكر علينا مـا دعـا لله داع
ايها المبعوث فينـا جئت بـالامر المطاع

واستقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار هجرته عشر سنوات كلها حافلة بجلائل الاعمال مزدهرة بفعل الاصحاب الابطال ثم بعد ذلك شرع في الغزوات ولم يمض الاثمان سنين حتى فتحت مكة وطهرت من الشرك والضلال المبين وفي السنة العاشرة من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ومعه مائة الف من اصحابه الذين ورثوا الملك من بعده بالايمان والثبات على المبدأ واليقين لا بالمسكنة والتكالب على لذات الحياة وهدم شعائر الدين (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)

عباد الله ان كنتم تريدون عزا في بلادكم وهناء في عيشكم وسعادة في الحياتين فعليكم بالمحافظة على دينكم فقد تجلى لكم في هذه الخطبة ما قاساه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من اذى المشركين حتى اضطر ان يخرج من بلده وبلد ءابائه واجداده منذ العهد القديم كل ذلك ليحافظ على دين الله القويم فهنيئا لمن حفظ نفسه من الحرام ووصل رحمه وواسى الفقراء والايتام واعان المنكوبين واغاث الملهوفين .

فأد يابن ءادم ما يجب عليك لربك واهلك وامتك تنل اجر العاملين وكن ممن يغسل ذنبه بدمعه ولا تكن من الغافلين وفكر فيما رواه البخاري ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني يا رسول الله على عمل اعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النـار فقال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل ذا رحمك فلما ادبر الرجل قال صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما امر به دخل الجنة .

وفقنا الله جميعا لطاعته وشملنا بلطفه وعفوه وهدانا لما فيه رشدنا وجعل هذه السنة فاتحة خير لجميع المسلمين انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير الا ان احسن ما تشنف به ءاذان المؤمنين كلام مولانا رب العالمين (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (سورة التوبة)

النبـوغ التـونسى

اهدى الينا الحكيم العبقري السيد الصادق الملولي اطروحته التي قدمها للمجمع الطبي بباريز ونال عليها الاستحسان التام والاجازة في مباشرة هاته المهنة الشريفة وبعد الاطلاع على ترجمتها وجدنا الحكيم تناول البحث في اطروحته عن انتشار مرض الزهري بالبلاد التونسية وقد اشتملت على جزءين مهمين . اما الجزء الاول فقد تكلم فيه على هذا المرض من الوجهة الطبية فذكر تاريخ هذا المرض المخيف وكيفية انتشاره بالبلاد التونسية ثم بين طرق مقاومة هذا المرض وما اعدته الحكومة لتخفيف وطأته وختم كلامه في هذا القسم بوجوب تكثير المستشفيات وتنظيم مصحات عديدة داخل المملكة حتى لا يفتك هذا الداء العضال بسكان المملكة . واما الجزء الثاني فتكلم فيه الحكيم على هذا المرض من الوجهة الاجتماعية مبينا ان اسباب تفشي هذا المرض الشقاء والتعاسة المخيمان على بعض الطبقات بسبب الفقر المحيط بها اذ الغالب في غذاء الفقير ولباسه ومسكنه لا تراعى فيها الوسائل الصحية وكل هذا مدعاة لانتشار هذا المرض المخيف ، ثم تفشي الجهل بين غالب الطبقات الذي من نتائجه عدم معرفة اوجه التوقي من الامراض ثم ختم اطروحته بذكر الوسائل التي يجب اتخاذها لوقاية الامة التونسية من هذا الداء الفتاك فابدى نظريات قيمة وآراء صائبة مما دل على غزير علمه وكمال عقله ورقي فكره وفي حياته العلمية ما يجعل الآمال في نفع بلاده تعلق عليه

والحكيم الملولي من بيت ماجد عرف والده الشيخ محمد الملولي في الاوساط الزيتونية بالعفة والاخلاص للعلم كما عرف في الاوساط التجارية بمساهمته في الحركة الاقتصادية باوفر نصيف وقد نشأ الحكيم في احضان العفة والمروءة وبعد ما أتم تعليمه الابتداءي بمسقط رأسه سافر للديار الفرنسوية وانخرط في مدارسها الثانوية حتى حصل على شهادة البكلوريا ثم انضم للكلية الطبية بباريز فدرس فن الطب بهمة لا تعرف الملل وعزم ثابت لم يعتره كلل فكان محل اعجاب اساتذته وأقرانه ثم شارك في مناظرة تخوله مباشرة المرضى بالمستشفيات وتسمى (بالاكسترنا) وهي تستدعي مجهودا خاصا ومعلومات زائدة فحاز قصب السبق فيها واهلته للدخول الى غالب مستشفيات باريز فكرع من حياضها ورجع الى وطنه مملوء الوطاب بعد ما نال لقب حكيم . والمجلة تهنيء الحكيم وعائلته الماجدة بهذا النجاح الباهر وتتمنى له التوفيق والسداد في اعماله حتى يعم نفعه جميع بني وطنه فيستفيدون من مواهب هذا الحكيم النطاسي البارع كما تتمنى لشبابنا التونسي المتحفز لـكمال النسج على منواله في سائر ابواب المعرفة لترفع تونس رأسها بين الامم مفاخرة بابنائها النابغين ورجالها العاملين

جدول الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٨٨	١٣	تشتت	تشتتت
٨٨	١٦	فصدء	فصدع
٨٩	٢٤	ظامرا	ظاهرًا
٩١	٢٣	وفي ذلك من الاشادة	وفي ذلك اشارة
٩٣	٧	حجيم	جحيم
٩٣	١٨	بهما	بما
٩٦	٣	حتى بلغ	حتى اذا بلغ
٩٦	٦	أفخرج	فخرج
٩٧		الهي رة	الهجرة
٩٧	٣	سلام	اسلام
٩٧	١٧	الحمعه	الجمعة
٩٧	٢٠	الزوج	الزواج
١٠٤	١٤	النفير	النيفر
١٠٥	٢٧	بمد	بعد
١٠٥	٢١	امة لبني	لبنى
١٠٥	٢٤	ببدر	بأحد
١٠٦	٢٧	يعني	يعنى
١٠٧	١٦	نقصية	نقيصة
١٠٨	٤	دبره	دبروه
١١٦	٩	جالب	جانب
١١٧	٣	دني	دنا
١١٨	٧	اذا	إذ
١١٨	١٢	لـه	بـه
١٣٠	٢٤	عيها	غيها
١٣٠	٢٠	واذوا	وآذوا
١٣٠	٢٥	مدح	مدحا
١٣٦	٢٤	التعديل	التعويل
١٤٣	٢٥	القت	ألقيت
١٤٧	٢٧	ابن	بن
١٤٣	١٨	ذلك	ذاك
١٤٨	٣	ستقر	استقر
١٥٥	١٢	النبوئة	النبوة
١٥٥	٢٣	لحـ	
١٥٥	١١	فصل	فضل

الاشتراك عن سنة ٣٠ فرنكا   امين المال محمد الهادي ابن القاضي